

الرياض النضرة في أسباب المغفرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فاتحة الكتاب خير .. وتمام الكتاب نعمة

الرياض النضرة في أسباب المغفرة

د. عادل صالح الجطيلي

مكتبة الصحوة
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م
مكتبة الصحوة - الكويت
ت : ٢٢٦١١٠٠٦

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

مقدمة

الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه ، وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه التي تنزل عن عرش الجلال إلى السماء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه ، فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء ، بترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال: هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له؟ وباين السلاطين بفتح الباب ، ورفع الحجاب فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات ، كيفما تقلبت بهم الحالات ، في الجماعات والخلوات ، ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه ، وأتم لطفه وأعم إحسانه ؛ والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبي وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليماً كثيراً:

إن المقصود من العبادات والطاعات استقامة النفس والمحافظة عليها من الانحراف والأعوجاج ، وليس المقصود الإستقصاء ولا الإحصاء ، إنما المقصود كما قال نبينا ﷺ: «سددوا وقاربوا، واستقيموا ولن تحصوا، وأتوا من الأعمال ما تطيقون».

والاستقامة تحصل بمقدار سهل ، ينبّه النفس فتتلذذ في العبادة ، وإذا دخل العبد في المشقة والملل فقد لذة العبادة وأبتعد عن بواعث الخشوع ، ولقد شرع الله لنا من الطاعات ما تقبل عليه النفوس بطبعها.

فكان من يسلك مسالك الرفق واللين واليسير في الأمر كلّ بلا مدهانة ولا مجاملة ولا مجافاة للحق والطريق المستقيم ، هو الأقرب والمحبيب إلى النفوس من المتجشم للمصاعب.

فكان لزما على كل مسلم أخذ الناس باليسر ولا يكلفهم عُسراً ، يبشر ولا ينفر ، ييسر ولا يعسر والرفق ما كان في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه ، أخرج الترمذي بإسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «حُرِّمَ عَلَى النار كل هَيْنٍ لَيْنٍ سهل قريب من الناس».

وقد ورد الكثير من الأحاديث والمبشرات النبوية التي تُظهر سماحة الإسلام ويسره ومن هذه الأحاديث حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وقد اشتمل على أصول عظيمة وكلمات جامعة منها :

١ - سعة كرم الله تعالى وجوده.

٢- التيسير ودفع الحرج من خصائص الإسلام.

٣- حسن الظن بالله تعالى.

٤- الرد على الذي يكفرون المسلمين بالذنوب كالخوارج وعلى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين ، بمعنى أنه ليس بمؤمن ولا كافر في الدنيا، ويخلد في النار في الآخرة، والصواب قول أهل السنة: أن العاصي لا يسلب عنه اسم الإيمان، ولا يعطاه على الإطلاق، بل يقال: هو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وعلى هذا يدل الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة.

٥- بيان معنى لا إله إلا الله: أنه هو إفراد الله بالعبادة، وترك الشرك قليلة وكثيرة.

٦- حصول المغفرة بهذه الأسباب الثلاثة:

الدعاء والرجاء، والاستغفار والتوحيد وهو السبب الأعظم الذي من فقده فقد فقد أعظم أسباب المغفرة، ومن جاء به فقد جاء بأعظم أسباب المغفرة.

هذا وأسأل الله العظيم أن يجعله متقبلاً خالصاً لوجهه الكريم لا
رياء فيه ولا سمعة.

وأسأله سبحانه أن يهدينا الصراط المستقيم وأن يجنبنا سبل
الضلالة ونستغفره من زلة القلم والفكر هو حسبنا ونعم الوكيل،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كتبه

دكتور

عادل بن صالح الجطيلي

في السابع من يناير لعام ٢٠٠٨

الموافق الثامن والعشرين من ذي الحجة

لسنة ١٤٢٨هـ من الهجرة النبوية المشرفة

الحديث :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

قال الله تعالى :

(يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)^(١).

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٠) وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في: الصحيحة (١٢٧)، الروض النضير (٤٣٢)، المشكاة (٤٣٣٦) / التحقيق الثاني التعليق الرغيب).

المبحث الأول :

التيسير ودفع الحرج في العبادات :

إن من مميزات التشريع رفع الحرج عن الناس وهذا ظاهر للمتبع حيث أن التشريع الإسلامي فيه موازنة دقيقة بين التكليف والاستطاعة، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والمشقة تجلب التيسير، والضرورات تبيح المحظورات قواعد فقهية تتأصل منها أحكام الدين.

لقد بعث رسول الله ﷺ رحمة للعالمين :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالى :

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال ﷺ: «إن الله لم يبعثني معتاً ولا متعتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً». رواه مسلم.

فمنهاج الإسلام مبني على اليسر، ورفع الحرج والشواهد في ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ وفي السنة النبوية «يسروا ولا تعسروا» وقال ﷺ: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ» وكان ﷺ يترك بعض الأفعال خشية المشقة على أمته، وصح عنه ﷺ أنه: «ما خير بين أمرين إلا أختار أيسرهما ما لم يكن فيه إثم».

ولما بعث ﷺ معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال لهما: «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا». متفق عليه.

ومن أقواله المشهورة ﷺ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا . . .» الحديث. رواه البخاري.

وللإنسان أن يأخذ بالأشد من المشروع، كأن يصلي صلاة طويلة، ولكن ليس له أن يلزم الناس بذلك، فقد كان ﷺ أطول الناس صلاة إذا صلى لنفسه، ولكنه كان يخفف صلاته إذا صلى بالناس، مراعاة لأحوالهم فكان يخفف لسماع بكاء طفل أو عجز شيخ كبير أو امرأة عجوز أو صاحب حاجة وعاتب معاذ رضي الله عنه عند إطالته بالصلاة على الناس فقال (أفتان أنت يا معاذ).

وله كذلك أن يصوم كل اثنين وخميس والأيام البيض الثلاثة ولكن ليس له أن يلزم الناس فلما أراد الصحابة أن يواصلوا في الصيام قال: «لست كهيتكم».

ولما سمع ﷺ بعزم نفر من أصحابه على الانتقطاع للعبادة، قال: «إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». متفق عليه.

يقول سفيان الثوري رحمه الله: "إنما العلم عند الرخصة عن ثقة، أما التشديد فيحسنه كل أحد".

ويقول إبراهيم النخعي رحمه الله: "إذا تخالجتك أماران فظنّ أحبهما إلى الله أيسرهما".

ويقول الشعبي رحمه الله: "إذا اختلف عليك أماران فإن أيسرهما أقربهما إلى الله يقول سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

إن منهاج الإسلام وسط بين اليهود الذين فرطوا في جنب الله، وحرصوا على الدنيا وملذاتها، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَلَجَدْنَاهُمْ أَحْرَاصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ﴾ [البقرة: ٩٦].

والنصارى الذين غلوا وابتدعوا رهبانية لم يشرعها الله ، كما قال الله عنهم :

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَنْ رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

لقد ذمهم الله لإبتداعهم في دينه ما لم يأذن به ، وفي عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة تقربهم إلى الله .

إن تشريع الله في العبادة ، تشريع متوسط معتدل ، بين الإفراط والتفريط ، والغلو والتقصير : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

أخرج مسلم بسنده عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : «كنت أصلي مع النبي ﷺ الصلوات ، فكانت صلاته قصداً ، وخطبته قصداً». أي أخذ بجانب التخفيف في الخطبة والصلاة.

رفع الحرج أصل مقطوع به في الشريعة الإسلامية ومظاهرها كثيرة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

ففي مجال العبادات اعتبر الشرع أعذاراً عديدة تعفي المكلف، وإن لم تكن المشقة متحققة؛ نظراً إلى أن العذر يؤدي إليها غالباً، أو أن العذر مظنة للمشقة.

ومن تلك الأعذار، قصر الصلاة في السفر وإباحة الفطر، والصلاة مضجعاً أو قاعداً لمن عجز عن القيام والجمع بين الصلوات حال المطر والبرد الشديد وإعفاء المرأة من الصلاة والصيام أياماً بسبب الحيض، حيث يرجح فيها مشقة القيام بالتكليف بالصلاة أثناء حيضها، الذي هو من فطرتها التي فطرها الله عليها وهذه بعضاً منها والصحيح أن رفع الحرج ودفع المشقة يتناول كل فريضة فرضها الله تعالى على عباده.

فكان اعتبار المرض والسفر والأكراه والخطأ والنسيان أعذاراً لتخفيف الأحكام ولم يكن التخفيف في الأحكام فحسب، بل كذلك في العفو والصفح كما هي توبة الله على عباده فقد كانت التوبة في بني إسرائيل لا تتحقق إلا بقتل النفس كما قال تعالى: ﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، حتى خفف الله على هذه الأمة باليسير بشروط التوبة والرجوع إلى الله سبحانه.

والأبتعاد عن منهج التيسير له آثار خطيرة على الفرد والمجتمع.

فأي تشدد زائد قد يعرض صاحبه للوقوع في الحرج والمعصية بل قد يؤدي لترك العمل لذا عمل قليل دائم خير من كثير منقطع، والنفس البشرية دائماً تميل على السماحة والسعة في كل شيء، وتضيق ذرعاً بالمشقة والعنت في كل شيء لذا كان التيسير ورفع الحرج من خصائص الإسلام.

ومن مظاهر التيسير والسماحة ما بشر به النبي ﷺ في هذا الحديث الذي نحن بصدد شرحه فهو حديث عظيم فيه بشارة عظيمة للمسلمين المذنبين، بشارة جليلة ينبغي أن يفرح بها عباد الله ويحمدوا الله على سعة رحمته ولطفه بعباده فما من عطف ورحمة بين الخلق إلا جزءاً واحداً من مائة جزء من رحمة الله تعالى فإن ساحة كرم الله تعالى تتعاضم فله جل في علاه مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر سبحانه تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة.

أخرج مسلم بسنده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق بينهم، وتسع وتسعون ليوم القيامة».

وفي رواية: «إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء إلى الأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة، أكملها بهذه الرحمة».

فإذا كان للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبينة على الأكدار، والهموم والغموم بالإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به، فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة، وهي دار القرار ودار الجزاء.

وعنه عليه السلام، فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى: قال: (أذنب عبدٌ ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنوب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنوب، ويأخذ بالذنب، قد غفرت لعبدي فليفعل ما يشاء) متفق عليه.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: «قدم رسول الله ﷺ، بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى، إذ وجدت صبياً في السبي أخذته، فألزقته بطنها، فأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟» قلنا: لا والله. فقال: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها». متفقٌ عليه.

وعن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ، في قبةٍ نحواً من أربعين، فقال: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمةٌ، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر» متفق عليه.

فرحمته سبحانه تتجلى في كل مخلوقاته وحديث أنس الذي نحن بصددده إنما هو أثر من آثار رحمة الله تعالى فقد اشتمل على جماع أسباب مغفرته سبحانه والله تعالى أسأل أن يوفق ويسر هو مولى ذلك والقادر عليه.

تعريف الحديث القدسي :

هذا الحديث يسمى عند المحدثين حديثاً قدسياً ، وهو : كل ما رواه النبي ﷺ عن ربه عز وجل ، لأنه منسوب إلى النبي ﷺ تبليغاً ، وليس من القرآن بالإجماع ، وإن كان كل واحد منهما قد بلغه النبي ﷺ أمته عن الله عز وجل .

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في لفظ الحديث القدسي : هل هو كلام الله تعالى ، أو أن الله تعالى أوحى إلى رسوله ﷺ معناه ، واللفظ لفظ رسول الله ﷺ ؟ على قولين :

القول الأول : أن الحديث القدسي من عند الله لفظه ومعناه ، لأن النبي ﷺ أضافه إلى الله تعالى ، ومن المعلوم أن الأصل في القول المضاف أن يكون بلفظ قائله لا ناقله ، لاسيما أن النبي ﷺ أقوى الناس أمانةً وأوثقهم روايةً .

القول الثاني : أن الحديث القدسي معناه من عند الله ولفظه لفظ النبي ﷺ ، وذلك لوجهين :

الوجه الأول : لو كان الحديث القدسي من عند الله لفظاً ومعنى ؛ لكان أعلى سنداً من القرآن ؛ لأن النبي ﷺ يرويه عن ربه تعالى بدون واسطة ؛ كما هو ظاهر السياق ، أما القرآن فنزل على

النبي ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ
الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ﴿عَلَى قَلْبِكَ
لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

الوجه الثاني: أنه لو كان لفظ الحديث القدسي من عند الله؛ لم
يكن بينه وبين القرآن فرق؛ لأن كليهما على هذا التقدير كلام الله
تعالى، والحكمة تقتضي تساويهما في الحكم حين اتفقا في
الأصل، ومن المعلوم أن بين القرآن والحديث القدسي فروق
كثيرة:

الأول: أن الحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته، بمعنى أن
الإنسان لا يتعبد الله بمجرد قراءته؛ فلا يثاب على كل حرف منه
عشر حسنات، والقرآن يتعبد بتلاوته بكل حرف منه عشر حسنات
كما ورد في الحديث «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة
والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام
حرف وميم حرف» رواه الترمذي وصححه الألباني.

الثاني: أن الله عز وجل تحدى أن يأتي الناس بمثل القرآن أو
آية منه كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال

تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، ولم يرد مثل ذلك في الأحاديث القدسية.

الثالث: أن القرآن محفوظ من عند الله عز وجل؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وحافظون اسم فاعل بمعنى حافظون له في الماضي والحاضر والمستقبل فلا يطرأ عليه التحريف والتزييف مهما اجتهد المبطلون؛ والأحاديث القدسية بخلاف ذلك؛ ففيها الصحيح والحسن، بل أضيف إليها ما كان ضعيفاً أو موضوعاً، وهذا وإن لم يكن منها لكن نسب إليها وفيها التقديم والتأخير والزيادة والنقص كما هو معلوم بعلم مصطلح الحديث.

الرابع: أن القرآن لا تجوز قراءته بالمعنى بإجماع المسلمين، أما الأحاديث القدسية؛ فعلى الخلاف في جواز نقل الحديث النبوي بالمعنى والأكثر على جوازه.

الخامس: أن القرآن تشرع قراءته في الصلاة، ومنه مالا تصح الصلاة بدون قراءته كالفاتحة فلا صلاة لمن لم يقرأ بأمر القرآن فهي ركن لا تصح إلا بها، بخلاف الأحاديث القدسية.

السادس: أن القرآن لا يمسه إلا طاهر على الأرجح من أقوال أهل العلم، بخلاف الأحاديث القدسية.

السابع: أن القرآن لا يقرؤه الجنب حتى يغتسل على القول الراجح، بخلاف الأحاديث القدسية.

الثامن: أن القرآن ثبت بالتواتر القطعي المفيد للعلم اليقيني، فلو أنكر أحد منه حرفاً واحداً أجمع القراء عليه؛ لكان كافراً، بخلاف الأحاديث القدسية؛ فإنه لو أنكر شيئاً منها مدعيّاً أنه لم يثبت؛ لم يكفر، أما لو أنكره مع علمه أن النبي ﷺ قاله؛ كان كافراً لتكذيبه النبي ﷺ.

قال العلامة جمال الدين القاسمي الدمشقي في قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث:

(اعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسام ثلاثة:

أولها: وهو أشرفها القرآن لتمييزه عن البقية بإعجازه من أوجه كثيرة وكونه معجزة باقية على ممر الدهر محفوظة من التغيير والتبديل وبحرمة لمسه لمحدث وتلاوته لنحو الجنب وروايته بالمعنى وبتعيينه في الصلاة وبتسميته قرآنا كل حرف منه بعشر حسنات وبامتناع بيعه في رواية عند أحمد وكرهته عندنا وبتسمية الجملة منه آية وسورة وغيره من بقية الكتب والأحاديث القدسية لا يثبت لها شيء من ذكر فيجوز مسه وتلاوته لمن ذكر وروايته بالمعنى ولا يجري في الصلاة بل يبطلها ولا يسمى قرآنا ولا يعطي قارئة بكل حرف عشرا ولا يمنع بيعه ويكره اتفاقاً ولا يسمى بعضه آية ولا سورة اتفاقاً أيضاً.

ثانيها: كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل تغييرها وتبديلها.

ثالثها: بقية الأحاديث القدسية وهي ما نقل إلينا آحادا عنه مع إسناده لها عن ربه فهي من كلامه تعالى فتضاف إليه وهو الأغلب ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء لأنه المتكلم بها أولاً وقد تضاف إلى النبي لأنه المخبر بها وعن الله تعالى بخلاف القرآن فإنه لا تضاف إلا إليه تعالى فيقال فيه: (قال الله تعالى) وفيها (قال رسول الله فيما يروي عن ربه تعالى) واختلف في بقية السنة هل هو كله بوحى أو

لا ، وآية (وما ينطق عن الهوى) تؤيد الأول ومن ثم قال (إلا إني أوتيت الكتاب ومثله معه) ولا تنحصر تلك الأحاديث القدسية في كيفية من كيفيات الوحي بل يجوز أن تنزل بأي كيفية من كيفياته كرؤيا النوم والإلقاء في الروح وعلى لسان الملك ولراويها صيغتان إحداهما أن يقول قال رسول الله : قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله والمعنى واحد) انتهى.

وفي كليات أبي البقاء في الفرق بين القرآن والحديث القدسي ص ٦٥ : (أن القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلي وأما الحديث القدسي فهو ما كان لفظه من عند الرسول ومعناه من عند الله بالإلهام أو المنام وقال بعضهم: القرآن لفظ معجز ومنزل بواسطة جبريل والحديث القدسي غير معجز وبدون الوساطة ومثله يسمى بالحديث القدسي والإلهي والرباني).

وقال الطيبي : (القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل على النبي والقدسي إخبار الله معناه بالإلهام أو بالمنام فأخبر النبي أمته بعبارة نفسه وسائر الأحاديث لم يضيفها إلى الله تعالى ولم يروها عنه تعالى) انتهى.

شرح الحديث :

الحديث من الأحاديث العظيمة والبشرى الكريمة التي شرحت أبواب المغفرة وهي محصورة وإن كانت كثيرة في أسباب ثلاثة بعد توفيق الله للعبد ، فالتوبة واجبة الحال ولا يجوز تسويفها وتأخيرها عن وقتها بل الواجب على العبد المذنب الرجوع إلى الله والإنابة إليه وإن تكرر منه الذنب فإن ترك التوبة وإهمالها هي من استدراج إبليس للعبد وكيد ومكره ومن تلبسه على الغافلين فكم ترى من يقول سوف أتوب وفي الأيام سعة وأنا شاب وسني قليل وما زلت حديث السن والتوبة بين يدي متى شئت وأنا قادر عليها متى أردت وربما اغتاله الموت بغته وهو على إصراره فالموت حتى لازم والنفوس لا بد زاهقه ولقاء الله يقين صادق كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥] فقد يختطف الأجل صلاح العمل فأى فرصة بعد ذلك إلا الحسرة والندامة: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّكَ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزمر: ٥٦-٥٨].

فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون :

والله سبحانه لعلمه السابق بأن النفس أمارة بالسوء وقد تأخذ بصاحبها ذات اليمين والشمال وأن تكاليف الله تعالى في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد، ولا ينفك من تقصير يقع منه، لذا أوصى المؤمنين جميعاً بالتوبة والاستغفار وتأميل الفلاح إذا تابوا واستغفروا كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وأمر بالاستغفار فقال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣] فخير الخلق ﷺ مع ما غفر له من ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان كثير الاستغفار وقد أحصى الصحابة استغفاره فكان ما بين السبعين والمائة كما أخرجه البخاري فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

وعند مسلم عن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة» والقصد هو تحديث النفس بالتوبة والرجوع بصدق وإخلاص.

ومن لطفه سبحانه بعباده ورحمته فرحه جل وعلا بتوبة عبده
فإن الله يفرح لتوبة عبده فعن أبي حمزة أنس بن مالك الأنصاري
خادم رسول الله ﷺ، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الله
أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض
فلاة» متفق عليه.

وفي رواية مسلم: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من
أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه
وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من
راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم
قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة
الفرح».

فالأبواب مفتحة بالليل والنهار ليعود المذنب إلى خالقه، فكل
شيء يخافه العبد يفر منه إلا الله فمن خافه فر إليه منه بدأنا وإليه
نعود يبسط يده بالليل والنهار ليتوب العبد.

فعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه عن
النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار،

ويسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه مسلم.

وذلك ما لم تطلع الشمس من مغربها وهي علامة قيام الساعة ولا يقبل الله تعالى حينئذ توبة تائب أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه».

وما لم يدركه الموت روى الترمذي بسند حسن عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر».

وفي حديث زر بن حبيشا قال: أتيت صفوان بن عسال رضي الله عنه أسأله عن المسح على الخفين فقال: ما جاء بك يا زر؟ فقلت: ابتغاء العلم، فقال: إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب، فقلت: إنه قد حك في صدري المسح على الخفين بعد الغائط والبول، وكنت امرئ من أصحاب النبي ﷺ، فجئت أسألك: هل سمعته يذكر في ذلك شيئاً؟ قال: نعم، كان يأمرنا إذا كنا سفراً -أو مسافرين- أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة، لكن من غائط وبول ونوم. فقلت: هل سمعته يذكر في الهوى شيئاً؟ قال: نعم كنا مع رسول الله ﷺ في

سفر، فبينما نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوتٍ له جهوري: يا محمد، فأجابه رسول الله ﷺ نَحْوَاً من صوته: هاؤم، فقلت له: ويحك اغضض من صوتك فإنك عند النبي ﷺ، وقد نهيت عن هذا! فقال: والله لا أغضض. قال الأعرابي: المرء يحب القوم ولما يلحق بهم؟ قال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب يوم القيامة» فما زال يحدثنا حتى ذكر باباً من المغرب مسيرة عرضه أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عاماً. قال سفيان أحد الرواة. «قبل الشام خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض مفتوحاً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه» رواه الترمذي وغيره وقال: حديث حسن صحيح.

وحذار من تعاضم الذنب وإن كثر حتى يبلغ بك القنوط واليأس مبلغه فإنها وإن تعاضمت فهي صغيرة تحت رحمة الله تعالى، فإن قتل مائة نفس مع صدق التوبة والرجوع عند الله مغفوره فكيف بما دونها؟! فأصدق التوبة فمن تاب تاب الله عليه.

فعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهبٍ، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله

فكمل به مائةً، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجلٍ عالمٍ فقال : إنه قتل مائة نفسٍ فهل له من توبةٍ؟ فقال : نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط، فأناهم ملكٌ في صورة آدمي فجعلوه بينهم - أي حكماً - فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة متفقاً عليه.

وفي رواية في الصحيح : «فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبرٍ، فجعل من أهلها».

وفي رواية : «فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي، وإلى هذه أن تقربي، وقال : قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له» وفي رواية : «فناى بصدرة نحوها».

فإن الله تعالى يفرح بتوبة عبده إذا أقبل عليه وقبوله تعالى توبة العصاة، والتجاوز عن سيئاتهم، والإنعام بالرضا، والحب بعد الغضب لهم من دلائل محبته جل وعلا.

والآيات التي تدعو الخاطئين إلى رحاب الله الودود الرحيم التواب الغفور كثيرة بعد ما بارزوه بالعصيان فسبحانه من متفضل منعم في حالي الطاعة والعصيان.

رحمة الله واسعة :

فرحمته سبحانه واسعة وأنه ليعلم ضعف الإنسان وأن الجهد شاق لذا تسمى سبحانه بالرحمن الرحيم فلا يتعاضمه ذنب أن يغفره.

ومن رحمته تعالى تبديل سيئات التائب إلى حسنات جزاء له على توبته ورجوعه إلى رحابه وأن قتل نفساً أو زنى وسرق إذا ما آمن وتاب وعمل بعد ذلك بالعمل الصالح قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

ويتمنى التائبون يوم القيامة لو أنهم أكثروا من سيئاتهم مما رأوا من الإحسان بتبديلها إلى حسنات.

أخرج الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ليتمنين أقوام من أمتي لو أنهم أكثروا من السيئات التي أبدلها الله لهم حسنات» وحسنه الألباني (صحيح الجامع ٩٤٩٠).

فلا يحل غضب الله حقيقة إلا على الكافر المصر على الكفر، والمصر على الذنب، المستهتر بحرمان الله، أما النادم فهو قريب من رحمة الله.

أسباب المغفرة :

أسباب المغفرة كثيرة وكلها متفرعة من الأسباب الثلاثة التي وردت في الحديث وسيأتي بيانها وشرحها بالتفصيل وقبل أن نشرع بشرحها نذكر بعضاً من الأسباب التي يغفر الله بها للعبد ومنها:

١ - قول العبد لا إلا الله قبل الموت :

ليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة، والفضائل المتنوعة، مثل التوحيد فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا

التوحيد وفضائله ومن فضائله: أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما.

ومن أعظم فوائده أنه يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه مثقال حبة من خردل وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

ومن فضائله كذلك: أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة وهو السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن أسعد الناس بشفاعه محمد ﷺ من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه وجميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبلوها وفي كمالها والثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

ويسهل على العبد فعل الخيرات وترك المنكرات ويسليه عن المصائب، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه.

روى أبو داود بإسناد صحيحه الألباني ٢/٢٤٨: أن رجلين
اختصما إلى النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ الطالب البينة فلم تكن له بينة
فاستحلف المطلوب فحلف بالله الذي لا إله إلا هو فقال رسول
الله ﷺ «بلى قد فعلت ولكن قد غفر لك بإخلاص قول لا إله إلا
الله»، قال أبو داود يراد من هذا الحديث أنه لم يأمره بالكفارة.

- ۳۳ -

٢ - خشية الله والخوف منه والإيمان بقدرته سبحانه :

فقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا به كما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال : لم فعلت هذا؟ قال : من خشيتك يا رب وأنت أعلم، فغفر له» وهذا الحديث متواتر عن النبي ﷺ رواه أصحاب الصحيح والمساند من حديث أبي سعيد وحذيفة وعقبة بن عامر وغيرهم عن النبي ﷺ من وجوه متعددة يعلم أهل الحديث أنها تفيد العلم اليقيني وإن لم يحصل ذلك لغيرهم، فهذا الرجل قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله تعالى على إعادة من يصل إلى الحالة التي أمر أهله أن يفعلوها به، وإن من أحرق وذري لا يقدر الله أن يعيده ويحشره إذا فعل به ذلك، وأنه ظن ذلك ظناً لم يجزم به.

يقول شيخ الإسلام: (هذا عنده نوعان من أنواع الكفر الأكبر: الشك في قدرة الله، والشك في اليوم الآخر، ولكن غفر الله له بسبب الجهل، والأمثلة كثيرة).

٣ - الأذان :

لما في الأذان من إعلام الناس لأداء أعظم فريضة فرضت على الخلق وهي الصلاة فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤذن يغفر له مد صوته ويشهد له كل رطب ويابس وشاهد الصلاة يكتب له خمس وعشرون حسنة ويكفر عنه ما بينهما». رواه وأبو داود وابن ماجه وروى النسائي إلى قوله: «كل رطب ويابس». وقال: «وله مثل أجر من صلى» قال عنه الألباني (صحيح) مشكاة المصابيح ١/١٤٧.

٤ - إجابة المؤذن :

والحكمة والله تعالى أعلم أنها استجابة وإقرار من العبد بكلمات التوحيد:

قال الشنقيطي رحمه الله: (فإذا ما سمع الله أكبر الله أكبر مرتين، عظم الله في نفسه، واستحضر جلاله وقده واستصغر كل شيء بعد الله، فلا يشغله شيء عن ذكر الله، لأن الله أكبر من كل شيء، فلا يشغل نفسه عنه أي شيء).

فإذا سمع أشهد أن لا إله إلا الله، علم أن من حقه عليه طاعة الله وعبادته، وإذا سمع: أشهد أن محمداً رسول الله، علم أن من

حقه عليه طاعة الله وعبادته ، وإذا سمع : أشهد أن محمداً رسول الله ، علم أنه يلزمه استجابة داعي الله ، وإذا سمع حي على الصلاة حي على الفلاح ، علم أن فلاحه في صلاته في وقتها لا فيما يشغله عنها.

وهكذا فكان ممشاه إليها تخشعاً ، وخطاه إلى المسجد تطوعاً مع حضور القلب واستجماع الشعور.

ومن هنا أيضاً ندرك السر في طلب السامع محاكاة الأذان تبعاً للمؤذن ليرتبط معه في إعلانه وعقيدته وشعوره ، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن - (ج ٨ / ص ٢٧٧).

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن المؤذنين يضلوننا ، فقال رسول الله ﷺ : «قل مثل ما يقولون ، فإذا انتهيت فسأل تعطه» رواه أبو داود.

وعن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله رباً ، وبمحمد رسولاً ، وبالإسلام ديناً غفر له». رواه مسلم في الصحيح عن قتيبة.

ولا فرق في استحباب إجابة المؤذن بين النساء والرجال، هذا
ظاهر إطلاق العلماء، وظواهر الأحاديث؛ فإن خطاب الذكور
يدخل فيه الإناث تبعاً في كثير من العمومات.

٥ - نشر العلم الشرعي :

العلم الشرعي من أهم ما ينبغي أن يعتنى به المسلم في حياته،
إذ بالعلم الشرعي تعرف الأحكام ويعبد الله على علم وبصيرة. وبه
يزكو صاحبه وتعلو مكانته ويرفع الله به درجته ويزيده العلم خشية
وورعاً وتقوى لله سبحانه وتعالى ولأهميته أمر الله سبحانه نبيه أن
يسأله الزيادة فيه فقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١٤].

فعلم الكتاب والسنة أفضل ما اكتسبته النفوس وعمرت به
القلوب وشغلت به الأوقات فبه يرفع الله أقواماً ويضع آخرين قال
الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، فهو حياة
القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور، وهو الميزان الذي توزن به
الرجال والأقوال والأعمال، وبه يتمكن العبد من تحقيق العبودية لله
الواحد الديان فهو الكاشف عن الشبهات والمهذب للشهوات،
مذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه قربة وبذله صدقة ودراسته
تعديل الصيام والقيام، فالحاجة إليه فوق كل حاجة فلا غنى للعبد
عنه طرفة عين.

قال الإمام أحمد رحمه الله: (الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه).

وبالعلم الشرعي يعرف الإنسان ربه، أسماؤه، وصفاته، وأفعاله وبه يعرف أمره ونهيه وحدوده وشرعه وبهذا كله تتحقق به خشية الله سبحانه وتعالى قال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة له أتم والعلم به أكمل كانت الخشية أعظم وأكثر).

وبالعلم يخرج العبد من الظلمات ويحصل أكمل السعادات وأتم اللذات قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

فيا بشرى ويا طوبى ويا سعادة من اشتغل بالعلم الشرعي تحصيلًا وطلبًا، وعلمًا وعملاً، وتبليغًا وتعليمًا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وفي

الصحيحين من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما مرفوعاً: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» وفي جامع الترمذي بسند لا بأس به: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالماً أو متعلماً».

ومن فضائل الاشتغال بعلم الكتاب والسنة ما رواه أصحاب السنن عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

قال الشيخ بن عثيمين رحمه الله بعد سياق الآية:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥-١٠٦] (فدل ذلك على أن نشر العلم من أسباب مغفرة الذنوب؛ كما أن الذنوب أيضاً تحول بين الإنسان والعلم، فكذلك

كتم العلم يحول بين الإنسان والمغفرة؛ وقد استدل بعض العلماء بأن الذنوب تحول بين الإنسان والعلم).

وقال رسول الله ﷺ: «ما جلس قوم يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يقال لهم قوموا قد غفر الله لكم ذنوبكم وبدلت سيئاتكم حسنات».

٦ - صيام شهر رمضان وقيامه :

كما فضل الله بعض البشر على بعض وبعض الأماكن على بعض فضل بعض الزمان على بعض، ومن ذلك تفضيل شهر رمضان المبارك وتمييزه على غيره واختياره ليكون محلاً لإيجاب الصوم على الناس ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، فلقد فضل الله هذا الشهر وجعله موسماً من مواسم الآخرة يتنافس فيه عباده المتنافسون ويتسابق فيها لتحصيل الفوز والزلفى عند الله المتسابقون، يتقربون فيه إلى ربهم بصيام النهار وقيام الليل وتلاوة كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ويتقربون إلى الله بهذا وغيره من الطاعة مع الحذر والبعد عن المعصية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور.

شهر رمضان المبارك شهر خصّه سبحانه وتعالى بخصائص قدرية كونية، وخصه بأحكام شرعية كثيرة.

وإن مما خص الله به هذا الشهر أن اصطفاه فجعله محلاً لنزول أعظم آية أوتيها نبي، ألا وهي القرآن، قال الله جل وعلا: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. هذا الشهر الذي أنزل الله فيه خير كتبه على خاتم رسله يدل ذلك على أن له من المزية والخاصية ما جعله محلاً لهذا الإصطفاء والإختيار: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

إن من الخصائص القدرية التي خصّ الله بها هذا الشهر أنه شهر تفتّح فيه أبواب الجنة فلا يبقى منها باب مغلق، وتغلق فيه أبواب النيران فلا يبقى منها باب مفتوح؛ بل قد قال رسول الله ﷺ: «وتصفد فيه الشياطين». ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فتّحت أبواب الجنة وغلّقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين». وفي رواية الترمذي قال ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلّقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها

باب» ثم قال: «وينادى منادٍ : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر» ثم قال: «ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة».

شهر فيه كل هذه الصفات لا شك أنه شهر غنائم خاب وخسر من فاته الشهر دون أن يغفر الله له فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احضروا المنبر فحضرنا فلما ارتقى درجة قال آمين فلما ارتقى الدرجة الثانية قال آمين فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال آمين فلما نزل قلنا يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه قال إن جبريل عليه السلام عرض لي فقال بَعْدَ من أدرك رمضان فلم يغفر له قلت آمين فلما رقيت الثانية قال بَعْدَ من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين فلما رقيت الثالثة قال بَعْدَ من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلا الجنة قلت آمين». رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

وأخرج البخاري بسنده قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه». متفق عليه.

٧ - الوضوء :

فبالوضوء تتساقط الذنوب وهو سمة هذه الأمة وعلامتهم يوم القيامة فيكونوا من بين الأمم غراً محجلين ، وليست لأحد غيرهم ولما كانت هذه الأطراف هي محل الكسب والعمل وكانت هذه الأطراف أبواب المعاصي والذنوب كلها منها ما يكون في الوجه كالسمع والبصر واللسان والشم والذوق ومنها ما يكون باليد بالبطش ومنها ما يكون بالرجل كالمشي ، وكذا الأمر في سائر الأعضاء كان الطهور مكفراً لذنوبها كلها.

كما أخرج الإمام أحمد والنسائي بسند صحيح عن عبد الله الصنابحي أنه رضي الله عنه قال : «إذا توضأ العبد المؤمن خرج الخطايا من فيه وإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه وإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه وإذا غسل يديه خرجت الخطايا حتى تخرج من تحت أظفار يديه فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من أظفار رجليه».

وعند الترمذي : «خرجت ذنوبه مع الماء أو مع آخر قطر الماء» لذا كره بعض العلماء مسح فضل الوضوء من أجل أن تطول مدة خروج الذنوب ولأنه فضلة عبادة وقد جاءت إحدى زوجات

النبي ﷺ بالمنديل للنبي ﷺ لما انتهى من وضوءه فردّه وأخذ ينفذ بيديه.

وأخرج مسلم بسنده عن النبي ﷺ:

«إذا توضأ العبد فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشت إليها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب» فأى ذنب يبقى بعد هذا !!؟

وفي رواية عند أبي داود بسند صحيحه الألباني ٥٦٣: «إذا توضأ أحدكن فأحسن الوضوء ثم خرج إلى الصلاة لم يرفع قدمه اليمنى إلا كتب الله عز وجل له حسنة ولم يضع قدمه اليسرى إلا حط الله عنه سيئة فليقرب أحدكم أو ليبعد فإن أتى المسجد فصلى في جماعة غفر له فإن أتى المسجد وقد صلوا بعضاً وبقي بعض صلى ما أدرك وأتم ما بقي فإن أتى المسجد وقد صلوا فأتى الصلاة كان كذلك».

٨ - صلاة الجمعة والدنو من الأمام والإنصات إليه :

وهي مما خص الله تعالى به هذه الأمة وميزها بهذا اليوم العظيم يوم الجمعة الذي هو سيد الأيام وخيرة الله منها، إذ خصه الله سبحانه بكثير من الحوادث الكونية والشعائر الدينية التي تميز بها عن سائر الأيام. فمن خصائصه الكونية أنه خير يوم طلعت فيه الشمس وأن الله تعالى قدر في هذا اليوم أهم حوادث الخلق وأبرز وقائع التاريخ الكبار ففيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة أخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها» وفي رواية له: «ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة» وعند الترمذي بسند حسنه الألباني قال ﷺ: «وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس».

وقد فرض الله تعالى على عباده تعظيم يوم الجمعة فضلً عنه اليهود فعظموا يوم السبت وضلّ عنه النصارى فعظموا يوم الأحد وهدى الله أمة الإسلام إلى خير الأيام وسيدها يوم الجمعة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون

السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله إليه فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد». متفق عليه.

أما خصائصه الدينية الشرعية فكثيرة متنوعة فقد خص الله هذا اليوم بآداب شرعية وشعائر دينية تعبدية واجبة ومستحبة فيجب على المسلمين أن يحتفوا بهذه الخصائص وأن يهتموا بها علماً وعملاً فمن أبرزها صلاة الجمعة التي فرضها الله على كل مسلم بالغ ذكر حر ودليل وجوبها أمر من الله تعالى بالسعي إليها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

وقد ورد التحذير الشديد عن النبي ﷺ في حق من تهاون بها أو تركها ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أنهما سمعا رسول الله ﷺ على أعواد المنبر يقول: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» فترك الجمعة سبب للختم على القلب وهذا من أعظم العقوبات وأشدّها فإذا ختم عليه ضعفت بصيرته وعمي وإذا عمي القلب أظلم وانتكس وفاتته خيرات الدنيا والآخرة.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى صلاة الجمعة سبباً لتكفير السيئات أخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فدنا واستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا» صححه الألباني في صحيح الجامع ٦١٧٩.

وفي رواية عند ابن ماجه (١٠٧٩): «من اغتسل يوم الجمعة فأحسن طهوره ولبس من أحسن ثيابه ومس ما كتب الله له من طيب أهله ثم أتى الجمعة ولم يلبس ولم يفرق بين اثنين غفر له بينه وبين الجمعة الأخرى».

٩ - صلاة الجماعة :

من سُمِّ شريعة الله أنها تشرع في كثير من عباداتها الاجتماعات التي هي عبارة عن مؤتمرات إسلامية، يجتمع فيها المسلمون ليتواصلوا ويتعارفوا ويتشاوروا في أمورهم، ويتعاونوا على حل مشاكلها وتداول الرأي فيها.

وهذه الاجتماعات فيها من المنافع العظيمة، والفوائد الجسيمة، ما يفوت الحصر، من تعليم الجاهل، ومساعدة العاجز، وتليين القلوب، وإظهار عز الإسلام، والقيام بشعائره.

وأول هذه المؤتمرات، صلاة الجماعة في المسجد، فهو مؤتمر صغير بين أهل المكان الواحد، يجتمعون كل يوم وليلة،

خمس مرات في مسجدهم ، فيتواصلون ويتعارفون ويحققون نواة الوحدة والأخوة الإسلامية الكبرى.

أخرج مسلم عن أبي أمامة قال : «بينما رسول الله ﷺ في المسجد ونحن قعود معه إذ جاء رجل فقال يا رسول الله إني أصبت حَدًّا فأقمه عليَّ . فسكت عنه رسول الله ﷺ ثم أعاد فقال يا رسول الله إني أصبت حَدًّا فأقمه عليَّ . فسكت عنه وأقيمت الصلاة فلما انصرف نبي الله ﷺ قال أبو أمامة فاتَّبَعَ الرجل رسول الله ﷺ حين انصرف واتَّبَعْتُ رسول الله ﷺ أنظر ما يرد على الرجل فلحق الرجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني أصبت حَدًّا فأقمه علي قال أبو أمامة فقال له رسول الله ﷺ «أرأيت حين خرجت من بيتك أليس قد توضأت فأحسنست الوضوء» . قال بلى يا رسول الله . قال «ثم شهدت الصلاة معنا» . فقال نعم يا رسول الله .

قال فقال له رسول الله ﷺ : «فإن الله قد غفر لك حَدَّكَ - أو قال - ذنبك» .

١٠ - صلاة التطوع :

وهي من أعظم ما يجبر الله به النقص يوم القيامة فإنه سبحانه ما فرض فريضة إلا وبجانبها جابراً لكسرها ففرض الصلوات الخمس

ورغب بالتطوع المحدد كسنن الصلاة القبلية والبعدية وسنة الضحى والوتر، وفرض الزكاة وجعل بجانبها ما يتطوع به المسلم من الصدقات وفرض الصيام وجعل لها جابراً من التطوع كصيام الاثنين والخميس والأيام البيض وغيرها، وهكذا سائر العبادات.

أخرج مسلم عن صحيحه من حديث عبقة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيركع ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة وغفر له».

وروى الترمذي بسند حسنه الألباني ٤٠٦: «ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وعند النسائي بسند صحيحه الألباني ١٣٠١: «أن رسول الله ﷺ دخل المسجد إذا رجل قد قضى صلاته وهو يتشهد فقال الله إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم فقال رسول الله ﷺ: «قد غفر له ثلاث».

وأخرج الطبراني في الكبير بسند حسنه الألباني في الترغيب
١/ ٤٥ : «ما من عبد يتوضأ فيحسن الوضوء فيغسل وجهه حتى
يسيل الماء على ذقنه ثم يغسل ذراعيه حتى يسيل الماء على مرفقيه
ثم غسل رجليه حتى يسيل الماء من كعبيه ثم يقوم فيصلّي إلا غفر له
ما سلف من ذنبه».

فإن الله تعالى فرض علينا أداء خمس صلوات في اليوم واللييلة
وهي بلا شك عمود الدين وركن من أركانه ، كما شرع لنا صلوات
دونها سميت بصلاة التطوع ، فكل صلاة مشروعة في الإسلام زيادة
على الفروض الخمسة الواجبة في اليوم واللييلة فهي صلاة تطوع.

أخرج البخاري بسنده عن طلحة بن عبيد الله قال : «جاء رجل
إلى رسول الله من أهل نجد نائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه
ما يقول : حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام ! فقال رسول الله :
خمس صلوات في اليوم واللييلة فقال : هل علي غيرها؟ قال : لا إلا
أن تطوع».

ومن فضل صلاة التطوع أنها تجبر النقص من الصلوات
المفروضة يوم القيامة فإن العبد قد يغادر صلاته ولم يكتب له منها
إلا الجزء اليسير بحسب ما عقل المسلم فيها مع مراعاة قيامها من
حيث الطهارة والخشوع والقيام والركوع والسجود فعن عمار بن

ياسر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعة سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها». حسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (ج ٢ / ص ٢٩٦).

والنقص يوم القيامة يجبر ويكمل بالتطوع فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة قال: يقول ربنا عز وجل لملائكته وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتب له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً قال: انظروا هل لعبدي من تطوع، فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ من الأعمال على ذلكم» أخرجه الأربعة وصححه الألباني.

أنواع صلاة التطوع :

وصلاة التطوع أنواع منها ما هو سنة راتبه والمقصود بالسنن الرواتب هي تلك الصلوات التي كان رسول الله ﷺ يصليها أو يرغب في صلاتها مع الصلوات الخمس المفروضة قبلها أو بعدها.

وهي التي أشار إليها في قوله ﷺ: «ما من عبد يصلي لله كل يوم ثنتي عشر ركعة تطوعاً إلا بنى الله له بيتاً في الجنة» رواه مسلم.

وهي راتبة صلاة الفجر ركعتان قبل الفريضة:

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» أخرجه مسلم.

وراتبة صلاة الظهر وهي أربع ركعات قبل الفريضة وأربع أو اثنتان بعدها: فعن أم حبيبة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار» رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

وله أن يصلي ركعتين بعدها لحديث عائشة قالت: «كان يصلي في بيتي قبل الظهر أربعاً ثم يخرج فيصلّي بالناس ثم يدخل فيصلّي ركعتين» رواه مسلم.

وراتبة صلاة المغرب وهي ركعتان بعد الفريضة:

لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلّي ركعتين» رواه مسلم.

وراتبة صلاة العشاء وهي ركعتان بعد الفريضة:

لحديث ابن عمر قال: «حفظت من رسول الله عشر ركعات .
قال وركتين بعد العشاء في بيته» أخرجه البخاري ومسلم.

ومنها صلاة الليل والوتر :

وصلاة الليل مثنى مثنى ويوتر بواحدة أو ثلاث أو خمس أو
سبع وكل ذلك ثبت عن النبي ﷺ.

أخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
«أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة
بعد الفريضة صلاة الليل» وعن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال:
«اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً» متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله يصلي فيما
بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشر ركعة يسلم بين
كل ركعتين ويوتر بواحدة» أخرجه مسلم.

وأفضل أوقاتها الثلث الأخير من الليل والليل يبدأ من المغرب
فإن كان ما بين المغرب إلى الفجر اثني عشر ساعة فالأربع ساعات
الأخيرة هي الثلث الأخير من الليل وقد ورد فيه حديث: «ينزل ربنا

في الثلث الأخير من الليل فيقول هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه » الحديث.

ومن صلاة الليل صلاة التراويح في ليالي شهر رمضان ويشترع الاجتماع لأدائها وفيها فضل عظيم.

ومنها صلاة الضحى :

فعن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال: «يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليل صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى» أخرجه مسلم، ويشترع للمسلم أن يصلّيها ركعتين أو أربعاً أو ستاً أو ثمانياً أو اثنتي عشرة ركعة، كل ذلك ثبت في الأحاديث.

ومنها صلاة ركعتين بعد الوضوء :

عن عمران مولى عثمان أنه رأى عثمان بن عفان دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما، ثم جعل يمينه في الإناء، فمضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ثلاثاً ويديه ثلاث مرار، ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرار إلى الكعبين، ثم قال: قال

رسول الله: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه» أخرجه الشيخان.

ومنها صلاة تحية المسجد :

يشرع للمسلم إذا دخل المسجد وأراد الجلوس فيه أن يصلي ركعتين.

فعن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس» أخرجه الشيخان. وفي رواية البخاري «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين».

ومنها الصلاة بين الأذان والإقامة :

عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ: «بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة ثم قال في الثالثة لمن شاء» أخرجه البخاري والمقصود بالأذانين الأذان والإقامة.

ومنها الصلاة قبل الجمعة :

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «من اغتسل ثم أتى الجمعة وصلى ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته ، ثم يصلي معه غفر له ما بين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام» أخرجه مسلم.

ومنها السنة البعدية للجمعة :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله : «إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً» رواه مسلم ، وقوله «صلي ما قدر له» دليل على أن للمسلم أن يصلي مثنى مثنى ما يشاء وهكذا كان الصحابة يفعلون.

ومنها صلاة التوبة :

عن علي بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ بِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] أخرجه الترمذي وأبو داود وحسنة الألباني.

فالمقصود هو بيان كثرة السنن الراتبة التي يتحقق فيها قول رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيركع ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة وغفر له» والحديث عام يشمل كل تطوع.

١١ - التسبيح والتهليل والتحميد وسائر الذكر :

فهو الحصن الحصين، والدرع الواقى، والسلاح الذي لا يُلثم، والمرء في هذه الحياة الدنيا محاط بالأعداء من كل جانب، نفسه الأمارة بالسوء، تورده موارد التلف، وكذلك هواه والشيطان، فهو في حاجة إلى ما يعصمه ويسكن مخاوفه، ويهدي نفسه، ويطمئن قلبه وليس له إلا ذكر الله ﴿الَّذِي يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] منه تطمئن القلوب.

وقد أمرنا الله جل وعلا بذكره فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤١﴾ [الأحزاب: ٤٢].
وقد جاءت الآيات في القرآن في بيان أهمية الذكر في صور كثيرة، فمن ذلك:

النهي عن الغفلة وهي ضد الذكر فقال سبحانه ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وعلق الله الفلاح باستدامة الذكر وكثرته فقال سبحانه
﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وأثنى على أهله وأخبر بما أعد لهم من الجنة والمغفرة فقال
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ
كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وفي المقابل أخبر عن خسران من لهي عن الذكر بغيره فقال
جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

وجعل الله ذكره للذاكرين جزاء لذكرهم له فقال ﴿فَاذْكُرُونِي
أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وأخبر أن ذكره أكبر من كل شيء فقال ﴿وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾
[العنكبوت: ٤٥].

وجعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحا فختم به الحج
في قوله ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ
أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وختم به الصلاة فقال ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ
الصَّلَاةُ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

ومدح المؤمنين المتصفين به فقال ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا
وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وحدث النبي ﷺ على الإكثار من ذكر الله وبين ما فيه من
الفوائد الجسام والأجور العظام في أحاديث كثيرة.

روى الترمذي ٣٣٧٧ قوله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم
وأزكاها عند مليكم، وأرفعها في درجاتها وخير لكم من أن تلقوا
عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر
الله تعالى» وحسنه الألباني.

وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
«إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعملن بهن،
ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فجمع بني إسرائيل فقال: إن الله
أوحى إليّ بخمس كلمات أن أعمل بهن، وأمر بني إسرائيل أن
يعملوا بهن. . . قال: وأمركم بذكر الله كثيراً، ومثل ذكر الله كمثله
رجل طلبه العدو سراعا في أثره حتى أتى حصينا فأحرز نفسه فيه،
وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله . . . » رواه الترمذي
وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

قال الإمام ابن القيم تعليقا على هذا الحديث: «ولو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقا بالعبد ألا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهجا بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل وثب عليه وافترسه وإذا ذكر الله انخس عدو الله وتصاغر، وانقمع حتى يكون كالذباب».

ومما جاء في فضيلة الذكر أنه وصية رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ.

قال رسول الله ﷺ: «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله»، ولقد سمع النبي ﷺ رجلاً يقول في شهادته: (اللهم إني أسألك يا الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم) فقال رسول الله ﷺ: «قد غفر له قد غفر له قد غفر له» رواه النسائي (٥٢/٣).

١٢ - الذكر بعد كل صلاة :

للدعاء والاستغفار بعد الصلاة، حِكْمٌ عظيمة، وفوائد جلييلة من إظهار التقصير والعجز عن إكمالها، وترقيع الخلل الواقع فيها، كما أن عقب الصلاة من مواطن استجابة الدعاء.

كما أنه دليل على الرغبة في الطاعة وعدم الملل، لأن المتعبد كالحال المرتحل بين العبادات، مع ما في الدعاء من زيادة الحسنات، وتكفير السيئات، ورفعة الدرجات وهو من أعظم أسباب المغفرة فقد كان ﷺ بعد السلام يستغفر الله ثلاثاً، ثم يقول : اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد) ثم يقول : سبحان الله ثلاثاً وثلاثين والحمد لله ثلاثاً وثلاثين، والله أكبر ثلاثاً وثلاثين، ويقوم تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له

الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير من قالها بعد كل صلاة غفرت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر).

ثم يقرأ آية الكرسي وهي قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فعن أبي أمامة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي عُقِبَ كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» رواه النسائي ١٥٩٥ وصححه الألباني في الترغيب.

قال ابن القيم: (يعني لم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا الموت)، ثم يقرأ: سورة الإخلاص.

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾.

وسورة الفلق.

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿١﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٢﴾
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٤﴾.

وسورة الناس.

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ مَلِكٍ ﴿١﴾ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهٍ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ ﴿٦﴾.

يقرأ هذه الآيات بعد كل صلاة، ويستحب تكرارها ثلاث
مرات بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب.

وأخرج مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أن هذا الذكر من
أسباب المغفرة.

١٣ - قراءة سورة الملك وحفظها :

قليل أنها تمنع من عذاب القبر أو من المعاصي التي توجب
عذاب القبر.

روى ابن ماجه بسنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «في القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير» قال الشيخ الألباني ٣٧٨٦: صحيح.

١٤ - التأمين على الأمام :

فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه» هذا حديث متفقٌ على صحته وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال أحدكم آمين فقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه». رواه البخاري في الصحيح وفي رواية عند البخاري كذلك: «إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده، فقولوا اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه».

قيل موافقة قوله لقول الملائكة آمين، وقيل في الصفة من الخشية والإخلاص، وقيل هو أن يكون دعاؤه لعامة المؤمنين كالملائكة.

١٥ - المصافحة بين المسلمين :

لأن الأخذ باليدين هو مبالغة المصافحين وهذا مستحب عند العلماء لما فيه من تأصيل الود والمحبة بين المسلمين.

فعن البراء بن عازب، قال: قال النبي ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان، فيصافحان، إلا غفر لهما» رواه أبو داود (٥٢١٢) وصححه الألباني.

وكان ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده حتى يكون هو الذي ينزع ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه، وعكس ذلك لو كانا متخاصمين فإن أعمالها لا ترتفع عند الله كما ورد.

١٦ - رحمة المخلوقات :

عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: «غُفِرَ لامرأة مومسةٍ مرت بكلب على رأس ركيٍّ يلهث، قال: كاد يقتله العطش، فنزعت خفها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك» متفق عليه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله معلقاً على الحديث: «فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها، وإلا فليس كل بغى سقت كلباً يغفر لها».

فقد يكفر الذنب العظيم بالحسنة القليلة، وقد يكفر الذنب العظيم بالأمر الذي لا يؤبه له وقد تكون الحسنة قبل الذنب أو بعده، وهذه المسألة تكلم فيها شيخ الإسلام في الإيمان فليراجعه من شاء.

قال ابن القيم رحمه الله:

(فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب فتكون صورة العاملين واحدة وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض والرجلان يكون مقامهما في الصف واحداً وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر فتثقل البطاقة وتطيش السجلات فلا يعذب ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار بذنوبه ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل وطاشت لأجله السجلات لما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات انفردت بطاقته بالثقل والرزانة وإذا أردت زيادة الإيضاح لهذا المعنى فانظر إلى ذكر

من قلبه ملآن بمحبتك وذكر من هو معرض عنك غافل ساه مشغول
بغيرك). مدارج السالكين (١ / ٣٣١).

إن هذه الحيوانات لها عبوديات تخصها، تشترك في بعضها مع
الإنسان في الاسم وتختلف في الكيفية، وكثير من هذه الحيوانات
تقدم عبوديتها لخالقها أحسن من كثير من البشر، فهذه الدواب
تسجد لربها: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ
وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩]، ومن عبوديتها أن هذه الدواب
تخاف من يوم الجمعة لأنها تعلم بأن الساعة تقوم يوم الجمعة،
وكثير من الإنس في غفلة، روى الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي
هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من دابة إلا وهي مصيخة
أي منصتة ومستمعة - يوم الجمعة خشية أن تقوم الساعة».

ومن عجيب عبودية هذه الدواب لربها أنها تستريح إذا مات
رجل فاجر في هذه الأرض روى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ
مر عليه جنازة فقال: «مستريح ومستراح منه، فقالوا: يا رسول الله،
ما المستريح وما المستراح منه؟ قال: إن العبد المؤمن يستريح من
نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى، والعبد الفاجر يستريح منه
العباد والبلاد والشجر والدواب».

إن الدواب تنزعج من وجود الفاجر في الأرض لأنه مبارز لله عز وجل ، لذا فإذا مات الفاجر ، استراحت منه البهائم .

١٧ - شكر النعم :

الشكر يديم النعم ويزيدها ويقويها ، وعدم الشكر يزيلها ويضيعها ، والله تعالى يقول : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم : ٧] .

ولقد أتى الله عز وجل نبيه سليمان عليه السلام ما لم يؤت أحداً من العالمين ، حيث قال : ﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ [ص : ٣٦-٣٩] .

فلم يعتبر سليمان عليه السلام ذلك نعمة يركن إليها ، بل خاف أن يكون ما وهبه الله له من النعم استدراجاً من حيث لا يعلم ، فقال سبحانه مخبراً عنه : ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل : ٤٠] .

إن إدراك حقيقة المنعم وقدره وعظمته مما يشجع الناس على الانتباه والתיقظ ، ويدفعهم إلى استغلال أوقاتهم وأفعالهم فيما يرضي الله تعالى وحقيقة الشكر أن يشكر الله بلسانه ثناءً واعترافاً

وبقلبه شهوداً ومحبة وبجوارحه طاعةً وانقياداً، فمن فعل فقد نال فضل الله ومغفرته.

روى الترمذي بسنده عن معاذ بن أنس الجهني قال: قال عليه الصلاة والسلام: «من أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». وزاد أبو داود: «ومن لبس ثوباً فقال الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». قال الشيخ الألباني: حسن دون زيادة وما تأخر (٤٠٢٣).

١٨ - صلاة الموحدين على الجنازة :

وكلما كثر الجمع كان أفضل للميت وأنفع لقوله ﷺ: «ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شُفِّعوا فيه».

وفي حديث آخر: «غُفر له». تلخيص أحكام الجنائز ١-٤٩.
قال الألباني رحمه الله:

(وقد يغفر للميت ولو كان العدد أقل من مائة إذا كانوا مسلمين لم يخالط توحيدهم شيء من الشرك لقوله ﷺ: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه».)

وهذا من فضائل التوحيد المتعديده ولله الفضل والمنه).

١٩ - صيام يوم عرفة :

وروى ابن ماجه في سننه : ١٧٣١ عن قتادة بن النعمان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من صام يوم عرفة غفر له سنة أمامه وسنة بعده» قال الشيخ الألباني : صحيح لغيره.

٢٠ - بذل المعروف للمسلمين :

وهذا باب عظيم يدخل منه كل معروف ينفع المسلمين كحفر بئر وبناء مأوى للأيتام والفقراء والمساكين وتجهيز جيش المسلمين وغيرها من البر.

يقول الأحنف رضي الله عنه : «أتيت المدينة وأنا حاج فبينا نحن في منازلنا نضع رحالنا إذ أتى آت فقال قد اجتمع الناس في المسجد فاطلعت فإذا يعني الناس مجتمعون وإذا بين أظهرهم نفر

قعود فإذا هو علي بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص رحمة الله عليهم فلما قمت عليهم قيل هذا عثمان بن عفان قد جاء قال فجاء وعليه ملية صفراء فقلت لصاحبي كما أنت حتى أنظر ما جاء به فقال عثمان أهاهنا علي؟ أهاهنا الزبير؟ أهاهنا طلحة؟ أهاهنا سعد؟ قالوا: نعم قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من يتبع مريد بني فلان غفر الله له» فابتعته فأتيت رسول الله ﷺ فقلت إني ابتعت مريد بني فلان قال: «فاجعله في مسجدنا وأجره لك» قالوا: نعم قال فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من يتبع بئر رومة غفر الله له» فأتيت رسول الله ﷺ فقلت قد ابتعت بئر رومة قال: «فاجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك» قالوا: نعم قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال «من يجهز جيش العسرة غفر الله له» فجهزتهم حتى ما يفقدون عقالا ولا خطاما قالوا: نعم قال: اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد» ، رواه النسائي في سننه ٣٦٠٦ وقال الألباني: صحيح.

وهذا بعض ما ورد من أسباب المغفرة وتلك عطية وكرم من الله فإن الله تعالى قد هيا أسباب التوبة والرجوع إليه فهو سبحانه أرحم الراحمين فلا ينبغي للمسلم إهمالها وتسويقها والرجوع إليها وبعد أن بينا بعضاً من أسباب المغفرة نعود لحديث أنس وما فيه من

أسباب المغفرة الشاملة وقد خص الله فيها مزيد رحمته ومغفرته بل وعد سبحانه المذنبين التائبين بملء الأرض مغفرة ترغيباً بالعمل على أسبابها وهي كما وردت في الحديث:

الأول: الدعاء مع الرجاء.

الثاني: الاستغفار.

الثالث: توحيد الله.

الأول : الدعاء مع الرجاء :

قوله: (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي).

فضيلة الدعاء:

الميم في قوله تعالى (ما دعوتني) مصدرية ظرفية أي ما دمت تدعوني وترجونني يعني في مدة دعائك ورجائك غفرت لك.

فإن الدعاء هو العبادة كما قال ﷺ ويروي عنه أن مخ العبادة ومخ الشيء خالصه وذلك لأمرين:

الأول: أنه امتثال لأمر الله حيث قال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ فهو محض العبادة وخالصها.

والثاني: أنه إذا رأى نجاح الأمور من الله تعالى قطع عمله عما سواه ودعاه لحاجته وحده وهذا أصل العبادة. ولأن الغرض من العبادة الثواب عليها وهذا هو المطلوب من الدعاء. وكذلك فيه شعور بالفقر والألتجاء إلى الله وحده كان من أهم مقاصد الإسلام.

فالدعاء مطلوب للعبد في كل أحواله في المنشط والمكروه في الصحة والمرض في الفقر والغنى في ساعة النصر والفتح، وفي ساعة الهزيمة، فهو من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، وأعظم من ذلك أن الدعاء يجعل القلوب متعلقة بخالقها، فينزل عليها السكينة، والثبات والأطمئنان ويمدها بقوة روحية عظيمة، فترتفع المعنويات نحو المعالي وتتطلع إلى ما عند الله تعالى فحياة العبد كلها دعاء فما من حركة يتحرك بها العبد عبادة كانت أو غيرها إلا وهي مربوطة بدعاء فيشعر العبد بمعية الله له في كل حال وحين، والدعاء يدل على التواضع لله والإفتقار إلى الله، ولين القلب والرغبة فيما عنده والخوف منه تعالى والإعتراف بالعجز والحاجة إليه.

فهو سبب لدخول الجنة كما قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^(٣٥٥) ^(٣٥٦) ^(٣٥٧) ^(٣٥٨) ^(٣٥٩) ^(٣٦٠) ^(٣٦١) ^(٣٦٢) ^(٣٦٣) ^(٣٦٤) ^(٣٦٥) ^(٣٦٦) ^(٣٦٧) ^(٣٦٨) ^(٣٦٩) ^(٣٧٠) ^(٣٧١) ^(٣٧٢) ^(٣٧٣) ^(٣٧٤) ^(٣٧٥) ^(٣٧٦) ^(٣٧٧) ^(٣٧٨) ^(٣٧٩) ^(٣٨٠) ^(٣٨١) ^(٣٨٢) ^(٣٨٣) ^(٣٨٤) ^(٣٨٥) ^(٣٨٦) ^(٣٨٧) ^(٣٨٨) ^(٣٨٩) ^(٣٩٠) ^(٣٩١) ^(٣٩٢) ^(٣٩٣) ^(٣٩٤) ^(٣٩٥) ^(٣٩٦) ^(٣٩٧) ^(٣٩٨) ^(٣٩٩) ^(٤٠٠) ^(٤٠١) ^(٤٠٢) ^(٤٠٣) ^(٤٠٤) ^(٤٠٥) ^(٤٠٦) ^(٤٠٧) ^(٤٠٨) ^(٤٠٩) ^(٤١٠) ^(٤١١) ^(٤١٢) ^(٤١٣) ^(٤١٤) ^(٤١٥) ^(٤١٦) ^(٤١٧) ^(٤١٨) ^(٤١٩) ^(٤٢٠) ^(٤٢١) ^(٤٢٢) ^(٤٢٣) ^(٤٢٤) ^(٤٢٥) ^(٤٢٦) ^(٤٢٧) ^(٤٢٨) ^(٤٢٩) ^(٤٣٠) ^(٤٣١) ^(٤٣٢) ^(٤٣٣) ^(٤٣٤) ^(٤٣٥) ^(٤٣٦) ^(٤٣٧) ^(٤٣٨) ^(٤٣٩) ^(٤٤٠) ^(٤٤١) ^(٤٤٢) ^(٤٤٣) ^(٤٤٤) ^(٤٤٥) ^(٤٤٦) ^(٤٤٧) ^(٤٤٨) ^(٤٤٩) ^(٤٥٠) ^(٤٥١) ^(٤٥٢) ^(٤٥٣) ^(٤٥٤) ^(٤٥٥) ^(٤٥٦) ^(٤٥٧) ^(٤٥٨) ^(٤٥٩) ^(٤٦٠) ^(٤٦١) ^(٤٦٢) ^(٤٦٣) ^(٤٦٤) ^(٤٦٥) ^(٤٦٦) ^(٤٦٧) ^(٤٦٨) ^(٤٦٩) ^(٤٧٠) ^(٤٧١) ^(٤٧٢) ^(٤٧٣) ^(٤٧٤) ^(٤٧٥) ^(٤٧٦) ^(٤٧٧) ^(٤٧٨) ^(٤٧٩) ^(٤٨٠) ^(٤٨١) ^(٤٨٢) ^(٤٨٣) ^(٤٨٤) ^(٤٨٥) ^(٤٨٦) ^(٤٨٧) ^(٤٨٨) ^(٤٨٩) ^(٤٩٠) ^(٤٩١) ^(٤٩٢) ^(٤٩٣) ^(٤٩٤) ^(٤٩٥) ^(٤٩٦) ^(٤٩٧) ^(٤٩٨) ^(٤٩٩) ^(٥٠٠) ^(٥٠١) ^(٥٠٢) ^(٥٠٣) ^(٥٠٤) ^(٥٠٥) ^(٥٠٦) ^(٥٠٧) ^(٥٠٨) ^(٥٠٩) ^(٥١٠) ^(٥١١) ^(٥١٢) ^(٥١٣) ^(٥١٤) ^(٥١٥) ^(٥١٦) ^(٥١٧) ^(٥١٨) ^(٥١٩) ^(٥٢٠) ^(٥٢١) ^(٥٢٢) ^(٥٢٣) ^(٥٢٤) ^(٥٢٥) ^(٥٢٦) ^(٥٢٧) ^(٥٢٨) ^(٥٢٩) ^(٥٣٠) ^(٥٣١) ^(٥٣٢) ^(٥٣٣) ^(٥٣٤) ^(٥٣٥) ^(٥٣٦) ^(٥٣٧) ^(٥٣٨) ^(٥٣٩) ^(٥٤٠) ^(٥٤١) ^(٥٤٢) ^(٥٤٣) ^(٥٤٤) ^(٥٤٥) ^(٥٤٦) ^(٥٤٧) ^(٥٤٨) ^(٥٤٩) ^(٥٥٠) ^(٥٥١) ^(٥٥٢) ^(٥٥٣) ^(٥٥٤) ^(٥٥٥) ^(٥٥٦) ^(٥٥٧) ^(٥٥٨) ^(٥٥٩) ^(٥٦٠) ^(٥٦١) ^(٥٦٢) ^(٥٦٣) ^(٥٦٤) ^(٥٦٥) ^(٥٦٦) ^(٥٦٧) ^(٥٦٨) ^(٥٦٩) ^(٥٧٠) ^(٥٧١) ^(٥٧٢) ^(٥٧٣) ^(٥٧٤) ^(٥٧٥) ^(٥٧٦) ^(٥٧٧) ^(٥٧٨) ^(٥٧٩) ^(٥٨٠) ^(٥٨١) ^(٥٨٢) ^(٥٨٣) ^(٥٨٤) ^(٥٨٥) ^(٥٨٦) ^(٥٨٧) ^(٥٨٨) ^(٥٨٩) ^(٥٩٠) ^(٥٩١) ^(٥٩٢) ^(٥٩٣) ^(٥٩٤) ^(٥٩٥) ^(٥٩٦) ^(٥٩٧) ^(٥٩٨) ^(٥٩٩) ^(٦٠٠) ^(٦٠١) ^(٦٠٢) ^(٦٠٣) ^(٦٠٤) ^(٦٠٥) ^(٦٠٦) ^(٦٠٧) ^(٦٠٨) ^(٦٠٩) ^(٦١٠) ^(٦١١) ^(٦١٢) ^(٦١٣) ^(٦١٤) ^(٦١٥) ^(٦١٦) ^(٦١٧) ^(٦١٨) ^(٦١٩) ^(٦٢٠) ^(٦٢١) ^(٦٢٢) ^(٦٢٣) ^(٦٢٤) ^(٦٢٥) ^(٦٢٦) ^(٦٢٧) ^(٦٢٨) ^(٦٢٩) ^(٦٣٠) ^(٦٣١) ^(٦٣٢) ^(٦٣٣) ^(٦٣٤) ^(٦٣٥) ^(٦٣٦) ^(٦٣٧) ^(٦٣٨) ^(٦٣٩) ^(٦٤٠) ^(٦٤١) ^(٦٤٢) ^(٦٤٣) ^(٦٤٤) ^(٦٤٥) ^(٦٤٦) ^(٦٤٧) ^(٦٤٨) ^(٦٤٩) ^(٦٥٠) ^(٦٥١) ^(٦٥٢) ^(٦٥٣) ^(٦٥٤) ^(٦٥٥) ^(٦٥٦) ^(٦٥٧) ^(٦٥٨) ^(٦٥٩) ^(٦٦٠) ^(٦٦١) ^(٦٦٢) ^(٦٦٣) ^(٦٦٤) ^(٦٦٥) ^(٦٦٦) ^(٦٦٧) ^(٦٦٨) ^(٦٦٩) ^(٦٧٠) ^(٦٧١) ^(٦٧٢) ^(٦٧٣) ^(٦٧٤) ^(٦٧٥) ^(٦٧٦) ^(٦٧٧) ^(٦٧٨) ^(٦٧٩) ^(٦٨٠) ^(٦٨١) ^(٦٨٢) ^(٦٨٣) ^(٦٨٤) ^(٦٨٥) ^(٦٨٦) ^(٦٨٧) ^(٦٨٨) ^(٦٨٩) ^(٦٩٠) ^(٦٩١) ^(٦٩٢) ^(٦٩٣) ^(٦٩٤) ^(٦٩٥) ^(٦٩٦) ^(٦٩٧) ^(٦٩٨) ^(٦٩٩) ^(٧٠٠) ^(٧٠١) ^(٧٠٢) ^(٧٠٣) ^(٧٠٤) ^(٧٠٥) ^(٧٠٦) ^(٧٠٧) ^(٧٠٨) ^(٧٠٩) ^(٧١٠) ^(٧١١) ^(٧١٢) ^(٧١٣) ^(٧١٤) ^(٧١٥) ^(٧١٦) ^(٧١٧) ^(٧١٨) ^(٧١٩) ^(٧٢٠) ^(٧٢١) ^(٧٢٢) ^(٧٢٣) ^(٧٢٤) ^(٧٢٥) ^(٧٢٦) ^(٧٢٧) ^(٧٢٨) ^(٧٢٩) ^(٧٣٠) ^(٧٣١) ^(٧٣٢) ^(٧٣٣) ^(٧٣٤) ^(٧٣٥) ^(٧٣٦) ^(٧٣٧) ^(٧٣٨) ^(٧٣٩) ^(٧٤٠) ^(٧٤١) ^(٧٤٢) ^(٧٤٣) ^(٧٤٤) ^(٧٤٥) ^(٧٤٦) ^(٧٤٧) ^(٧٤٨) ^(٧٤٩) ^(٧٥٠) ^(٧٥١) ^(٧٥٢) ^(٧٥٣) ^(٧٥٤) ^(٧٥٥) ^(٧٥٦) ^(٧٥٧) ^(٧٥٨) ^(٧٥٩) ^(٧٦٠) ^(٧٦١) ^(٧٦٢) ^(٧٦٣) ^(٧٦٤) ^(٧٦٥) ^(٧٦٦) ^(٧٦٧) ^(٧٦٨) ^(٧٦٩) ^(٧٧٠) ^(٧٧١) ^(٧٧٢) ^(٧٧٣) ^(٧٧٤) ^(٧٧٥) ^(٧٧٦) ^(٧٧٧) ^(٧٧٨) ^(٧٧٩) ^(٧٨٠) ^(٧٨١) ^(٧٨٢) ^(٧٨٣) ^(٧٨٤) ^(٧٨٥) ^(٧٨٦) ^(٧٨٧) ^(٧٨٨) ^(٧٨٩) ^(٧٩٠) ^(٧٩١) ^(٧٩٢) ^(٧٩٣) ^(٧٩٤) ^(٧٩٥) ^(٧٩٦) ^(٧٩٧) ^(٧٩٨) ^(٧٩٩) ^(٨٠٠) ^(٨٠١) ^(٨٠٢) ^(٨٠٣) ^(٨٠٤) ^(٨٠٥) ^(٨٠٦) ^(٨٠٧) ^(٨٠٨) ^(٨٠٩) ^(٨١٠) ^(٨١١) ^(٨١٢) ^(٨١٣) ^(٨١٤) ^(٨١٥) ^(٨١٦) ^(٨١٧) ^(٨١٨) ^(٨١٩) ^(٨٢٠) ^(٨٢١) ^(٨٢٢) ^(٨٢٣) ^(٨٢٤) ^(٨٢٥) ^(٨٢٦) ^(٨٢٧) ^(٨٢٨) ^(٨٢٩) ^(٨٣٠) ^(٨٣١) ^(٨٣٢) ^(٨٣٣) ^(٨٣٤) ^(٨٣٥) ^(٨٣٦) ^(٨٣٧) ^(٨٣٨) ^(٨٣٩) ^(٨٤٠) ^(٨٤١) ^(٨٤٢) ^(٨٤٣) ^(٨٤٤) ^(٨٤٥) ^(٨٤٦) ^(٨٤٧) ^(٨٤٨) ^(٨٤٩) ^(٨٥٠) ^(٨٥١) ^(٨٥٢) ^(٨٥٣) ^(٨٥٤) ^(٨٥٥) ^(٨٥٦) ^(٨٥٧) ^(٨٥٨) ^(٨٥٩) ^(٨٦٠) ^(٨٦١) ^(٨٦٢) ^(٨٦٣) ^(٨٦٤) ^(٨٦٥) ^(٨٦٦) ^(٨٦٧) ^(٨٦٨) ^(٨٦٩) ^(٨٧٠) ^(٨٧١) ^(٨٧٢) ^(٨٧٣) ^(٨٧٤) ^(٨٧٥) ^(٨٧٦) ^(٨٧٧) ^(٨٧٨) ^(٨٧٩) ^(٨٨٠) ^(٨٨١) ^(٨٨٢) ^(٨٨٣) ^(٨٨٤) ^(٨٨٥) ^(٨٨٦) ^(٨٨٧) ^(٨٨٨) ^(٨٨٩) ^(٨٩٠) ^(٨٩١) ^(٨٩٢) ^(٨٩٣) ^(٨٩٤) ^(٨٩٥) ^(٨٩٦) ^(٨٩٧) ^(٨٩٨) ^(٨٩٩) ^(٩٠٠) ^(٩٠١) ^(٩٠٢) ^(٩٠٣) ^(٩٠٤) ^(٩٠٥) ^(٩٠٦) ^(٩٠٧) ^(٩٠٨) ^(٩٠٩) ^(٩١٠) ^(٩١١) ^(٩١٢) ^(٩١٣) ^(٩١٤) ^(٩١٥) ^(٩١٦) ^(٩١٧) ^(٩١٨) ^(٩١٩) ^(٩٢٠) ^(٩٢١) ^(٩٢٢) ^(٩٢٣) ^(٩٢٤) ^(٩٢٥) ^(٩٢٦) ^(٩٢٧) ^(٩٢٨) ^(٩٢٩) ^(٩٣٠) ^(٩٣١) ^(٩٣٢) ^(٩٣٣) ^(٩٣٤) ^(٩٣٥) ^(٩٣٦) ^(٩٣٧) ^(٩٣٨) ^(٩٣٩) ^(٩٤٠) ^(٩٤١) ^(٩٤٢) ^(٩٤٣) ^(٩٤٤) ^(٩٤٥) ^(٩٤٦) ^(٩٤٧) ^(٩٤٨) ^(٩٤٩) ^(٩٥٠) ^(٩٥١) ^(٩٥٢) ^(٩٥٣) ^(٩٥٤) ^(٩٥٥) ^(٩٥٦) ^(٩٥٧) ^(٩٥٨) ^(٩٥٩) ^(٩٦٠) ^(٩٦١) ^(٩٦٢) ^(٩٦٣) ^(٩٦٤) ^(٩٦٥) ^(٩٦٦) ^(٩٦٧) ^(٩٦٨) ^(٩٦٩) ^(٩٧٠) ^(٩٧١) ^(٩٧٢) ^(٩٧٣) ^(٩٧٤) ^(٩٧٥) ^(٩٧٦) ^(٩٧٧) ^(٩٧٨) ^(٩٧٩) ^(٩٨٠) ^(٩٨١) ^(٩٨٢) ^(٩٨٣) ^(٩٨٤) ^(٩٨٥) ^(٩٨٦) ^(٩٨٧) ^(٩٨٨) ^(٩٨٩) ^(٩٩٠) ^(٩٩١) ^(٩٩٢) ^(٩٩٣) ^(٩٩٤) ^(٩٩٥) ^(٩٩٦) ^(٩٩٧) ^(٩٩٨) ^(٩٩٩) ^(١٠٠٠) ^(١٠٠١) ^(١٠٠٢) ^(١٠٠٣) ^(١٠٠٤) ^(١٠٠٥) ^(١٠٠٦) ^(١٠٠٧) ^(١٠٠٨) ^(١٠٠٩) ^(١٠١٠) ^(١٠١١) ^(١٠١٢) ^(١٠١٣) ^(١٠١٤) ^(١٠١٥) ^(١٠١٦) ^(١٠١٧) ^(١٠١٨) ^(١٠١٩) ^(١٠٢٠) ^(١٠٢١) ^(١٠٢٢) ^(١٠٢٣) ^(١٠٢٤) ^(١٠٢٥) ^(١٠٢٦) ^(١٠٢٧) ^(١٠٢٨) ^(١٠٢٩) ^(١٠٣٠) ^(١٠٣١) ^{(١}

السُّمُورِ ﴿٢٨﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٩﴾
[الطور: ٢٥-٢٨].

وترك الدعاء سبب في دخول النار وهو دليل على الكبر وقسوة القلب والإعراض عن الله، وعد سبحانه الإعراض عن دعائه نوع من الاستكبار فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

لذا كان صرف الدعاء لغير الله شرك في ألوهيته، وسؤال المخلوق تلك الحاجة من جلب خير أو دفع ضرر أو رد غائب أو شفاء مريض أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه أحد إلا الله معتقداً أنه قادر على ذلك شرك في ربوبيته لأنه اعتقد أنه متصرف مع الله تعالى في ملكوته.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال عز وجل: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وروى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الآية وقال ﷺ: «الدعاء هو العبادة».

وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال: «ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء» وقال ﷺ: «سلوا الله تعالى من فضله فإن الله تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج».

أحوال الدعاء عند الله تعالى :

إن للدعاء عند الله أحوال ثلاثة فهو سبحانه يجيب الدعاء بأحد ثلاثة فإما أن يعجل الإجابة في الدنيا، وإما أن يكفر عن الداعي وإما أن يدخر له في الآخرة لما رواه أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخر له ثوابها، وإما أن يكف عنه من السوء بمثلها، قالوا إذا نُكثِر قال الله أكبر» رواه أحمد والبخاري وأبو يعلى بأسانيد جيدة وصححه الألباني في

الترغيب ٦٣٣ وفي رواية: «إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث: إما ذنب يغفر له وإما خير يعجل له وإما خير يدخر له» وقال أبو ذر رضي الله عنه: «يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح».

آداب الدعاء :

- ١- أن يكون الداعي موحداً لله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ممتلئاً قلبه بالتوحيد، فشرط إجابة الله للدعاء استجابة العبد لربه بطاعته وترك معصيته، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].
- ٢- الإخلاص لله تعالى في الدعاء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، والدعاء هو العبادة، كما قال النبي ﷺ، فالإخلاص شرط لقبوله.
- ٣- أن يسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٤ - الشناء على الله تعالى قبل الدعاء بما هو أهله ، فقد قدم الله تبارك وتعالى ثناءه ومدحه في سورة الفاتحة فقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فبعد هذا الشناء والتمجيد جاء الطلب والدعاء ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

روى الترمذي (٣٤٧٦) عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ قاعد إذ دخل رجلٌ فصلّى فقال : اللهم اغفر لي وارحمني ، فقال رسول الله ﷺ : «عجلت أيها المصلي ، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله ، وصل عليّ ، ثم ادعهُ» وفي رواية له (٣٤٧٧) : «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصلّ على النبي ﷺ ثم ليدع بعد ما شاء» . قال : ثم صلى رجلٌ آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : «أيها المصلي ، ادع تُجَبْ» صححه الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٧٦٥ ، ٢٧٦٧) .

٥ - الصلاة على النبي ﷺ ، قال النبي ﷺ : «كل دعاء محجوب حتى تصلي على النبي ﷺ» رواه الطبراني في "الأوسط" (٢٢٠/١) ، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (٤٣٩٩) .

٦- استقبال القبلة، روى مسلم (١٧٦٣) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ... الحديث.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: (فيه استحباب إستقبال القبلة في الدعاء، ورفع اليدين فيه) وإن لم يتسنى له استقبال القبلة فلا يهتف بربه كان ﴿فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا فَمَنْ وَجَّهَ اللَّهُ﴾.

٧- رفع اليدين، روى أبو داود (١٤٨٨) عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريمٌ يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يرُدَّهُمَا صفراً»، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح أبي داود" (١٣٢٠). ويكون باطن الكف إلى السماء على صفة الطالب المتذل الفقير المنتظر أن يعطى.

روى أبو داود (١٤٨٦) عن مالك بن يسار رضي الله أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سألت الله فاسأله ببطون أكفكم ولا تسأله بظهورها»، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح أبي داود" (١٣١٨). وهل يضم يديه عند رفعهما أو يجعل بينهما فرجة؟

نص الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في "الشرح الممتع" (٢٥/٤) أنها تكون مضمومة.

ونص كلامه: "وأما التفريغ والمباعدة بينهما فلا أعلم له أصلاً لا في السنة ولا في كلام العلماء" انتهى.

٨- اليقين بالله تعالى بالإجابة، وحضور القلب؛ لقول النبي ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه» رواه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٧٦٦).

٩- الإكثار من المسألة، فيسأل العبد ربه ما يشاء من خير الدنيا والآخرة، والإلحاح في الدعاء، وعدم إستعجال الاستجابة، لقول النبي ﷺ: «يُستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أرَ يستجيب لي،

فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء» رواه البخاري (٦٣٤٠) ومسلم (٢٧٣٥).

١٠- الجزم فيه والإلحاح بالدعاء، لقول النبي ﷺ: «لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكروه له» رواه البخاري (٦٣٣٩) ومسلم (٢٦٧٩).

١١- التضرع والخشوع والرغبة والرهبة، فيكون فيها الإنكسار والحاجة والذل لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

١٢- الدعاء ثلاثاً، روى البخاري (٢٤٠) ومسلم (١٧٩٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نُحِرَتْ جزورٌ بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث

أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه ، قال : فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض . وأنا قائمٌ أنظرُ لو كانت لي منعةٌ طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ . والنبي ﷺ ساجدٌ ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسانٌ ، فأخبر فاطمة فجاءت وهي جويريةٌ فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم ، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان إذا دعا دعا ثلاثاً ، وإذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال : «اللهم عليك بقريش ثلاث مرات» ، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ، ثم قال : «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمّية بن خلف وعقبة بن أبي معيط» - وذكر السابع ولم أحفظه - فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذي سمى صرعى يوم بدر ثم سحّبوا إلى القلب قلب بدر .

١٣- إطبابة المأكّل والملبس ، روى مسلم (١٠١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أيها الناس إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ، وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا

رَزَقَكُمْ﴿﴾، ثم ذكر الرجل يُطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأُتي يستجاب لذلك».

قال ابن رجب رحمه الله: «فأكل الحلال وشربه ولبسه والتغذي به سبب موجب لإجابة الدعاء» ١.هـ.

١٤- إخفاء الدعاء وعدم الجهر به، قال الله تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ الأعراف: ٥٥، وأثنى الله تعالى على عبده زكريا عليه السلام بقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ مريم: ٣.

١٥- أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة. ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل. قال تعالى: ﴿وَالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وقال ﷺ: «ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر لي» وقيل إن يعقوب ﷺ إنما قال "سوف أستغفر لكم ربي" ليدعو في وقت السحر.

١٦- أن يغتنم الأحوال الشريفة، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها» وقال مجاهد: إن الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات». وقال ﷺ: «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد» وقال ﷺ أيضاً: «الصائم لا ترد دعوته».

قال الغزالي رحمه الله في الإحياء:

(وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات، ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها، وحالة السجود أيضاً أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثرُوا فيه من الدعاء» وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى

وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه قمن أن يستجاب لكم» إحياء علوم الدين - (ج ١ / ص ٣١٣).

١٧- السفر ودعوة المظلوم ودعوة الوالد على ولده: كما في حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده»، أخرجه أبو داود وابن ماجه والترمذي، قال ابن رجب: «ومتى طال السفر، كان أقرب إلى إجابة الدعاء» لأنه مظنة حول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان، وتحمل المشتاق، والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء). (جامع العلوم والحكم (١ / ١٠٥).

١٨- حصول التبذل في اللباس والهيئة بالشعث والإغبرار، وهو أيضاً من المقتضيات لإجابة الدعاء، كما في الحديث المشهور عن النبي ﷺ: «رب أشعث أغبر ذي طمرين، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره». ولما خرج النبي ﷺ للإستقساء، خرج متبذلاً متواضعاً متضرعاً.

وكان مطرف بن عبد الله قد حبس له ابن أخ، فلبس خُلُقان ثيابه، وأخذه عكازاً بيده، فقليل له: ما هذا؟ قال: أستكين لربي، لعله أن يشفعني في ابن أخي.

شروط وموانع الدعاء :

١ - الشرك بالله :

الشرك بالله من موانع الإجابة، وإخلاص النية شرط لصحة الدعاء كما قال جل وعلا: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، فالذين يدعون معه غيره من الأصنام وأصحاب القبور والأضرحة والأولياء والصالحين كما يفعل عباد القبور اليوم من الإستغاثة بالأموات، هؤلاء لا يستجيب الله دعاءهم إذا دعوهم لأنهم لم يخلصوا له، فهذا قد ابتعد عن الله وقطع الصلة بينه وبين الله.

وكذا الذين يتوسلون في دعائهم بالموتى فيقولون: (نسألك بفلان أو بجاهه) فهذا شرك كما سماه الله تعالى بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

وهؤلاء لا يستجاب لهم دعاء عند الله لأن دعاءهم مبتدع غير مشروع، فالله لم يشرع لنا أن ندعو بواسطة أحد ولا بجاهه، وإنما أمرنا أن ندعوه مباشرة من غير واسطة أحد.

فهو سبحانه قريب من عباده: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] ، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

٢ - الاستعجال :

أخرج البخاري في صحيحه ٦٣٤٠ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي» وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل». قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال: «يقول قد دعوتُ وقد دعوتُ فلم أر يستجيبُ لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء» ٧١١٢ وذلك لجهل الإنسان بعواقب الأمور فإن الله تعالى لا يؤخر الإجابة إلا لمصلحة عبده فإنه لا يقدر لعبده إلا الخير وقد مر بنا أن للدعاء أحوال ثلاثة. فلا تعجل يا عبد الله فلربما أخر الله عنك دعوة فكانت لك مفتاح سعادة يوم القيامة فقد يأتي الخير بالشر وقد يأتي الشر بالخير فقل الحمد لله.

٣ - الدعاء بالإثم وقطعية الرحم :

وهذا نوع من أنواع الظلم فكيف يستجيبه سبحانه وقد حرم الله على نفسه الظلم وأي منفعة للعبد في هذا إلا تفرغ ما في نفسه من حقد وحسد وغل نسأل الله السلامة وهذه من أمراض القلوب المقيمة قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ وَجْعَلْ لِّي مِنْ وَرَثَةٍ جَنَّةَ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَعْفُ لِأَيِّ إِنَّمَا كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ أي سليم من مرض الشهوة والشبهة.

٤ - أكل الحرام وشربه ولبسه والتغذي به :

هناك علاقة وثيقة بين صلاح القلب وفساده، وبين طعام العبد وكسبه، فإن الكسب إذا كان حراماً وتجراً العبد على أكل الحرام، فإن القلب يفسد بهذا، أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما أن رسول الله ﷺ قال: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبها». ثم عقب بقوله: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»، ألا ترى كيف ربط النبي ﷺ القلب وفساده بمطعم

ومشرب وملبس الإنسان فالقلب بمثابة الملك ، والأعضاء رعيته ، وهي تصلح بصلاح الملك ، وتفسد بفساده .

قال المناوي: (وأوقع هذا عقب قوله: «الحلال بين» إشعاراً بأن أكل الحلال ينوره ويصلحه ، والشبه تقسيه).

وأخرج مسلم في صحيحه (٢٣٩٣) بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾». ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك».

قال ابن كثير رحمه الله: (والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة). تفسير ابن كثير (١ / ٤٨٠).

ويقول ابن رجب - رحمه الله - : (أكل الحرام وشربه ولبسه والتغذي به سبب موجب لعدم إجابة الدعاء). جامع العلوم والحكم (١ / ١٠٧).

وقال قتادة رحمه الله: «اعلم يا ابن آدم أن قضاء القاضي لا يحل لك حراماً، ولا يحق لك باطلاً، وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرى وتشهد به الشهود، والقاضي بشر يخطئ ويصيب، واعلموا أن من قضي له ببطل أن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة فيقضي على المبطل للمحق بأجود مما قضي به للمبطل على المحق في الدنيا».

لذا نهى الله تعالى عباده عن أكل الحرام، سواء كان أموالاً أو حقوقاً للناس كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ وَتُدْءُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، جاء في تفسيرها عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه في بينة، فيجحد المال ويخاصمهم إلى الحكام، وهو يعرف أن الحق عليه، وقد علم أنه آثم، أكل حرام). تفسير ابن كثير (١ / ٥٢١).

ومن صور الحرام أكل أموال اليتامى ظلماً وهو من أعظمها وأشدّها عند الله وقد جاء فيها الوعيد الشديد وعُدّ من السبع الموبقات أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الإشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا

بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف
المحصنات الغافلات المؤمنات».

وقال عز وجل: ﴿وَابْنُلُوا لِلْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيرها: «أي "ولا تأكلوها" في حال صغرهم التي لا يمكنهم فيها أخذها منكم، ولا منعكم من أكلها، تبادرون بذلك أن يكبروا، فيأخذوها منكم ويمنعوكم منها. وهذا من الأمور الواقعة من كثير من الأولياء الذين ليس عندهم خوف من الله ولا رحمة ومحبة للمولى عليهم، يرون هذه الحال فرصة فيغتنمونها ويتعجلون ما حرم الله عليهم، فنهى الله عن هذه الحالة بخصوصها» تفسير السعدي (١/ ١٦٤).

فأكل أموال اليتامى ظلما تسعر بطنه بالنار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

ومن صور الحرام أكل الربا فإنه ينبت في النفس الإنسانية
الجشع كما ينبت الحرص والبخل والاضطراب النفسي المستمر

وقسوة القلب ولا يكاد يختلف اثنان في أن المجتمع الذي يتعامل أفراده فيما بينهم بالحرص والبخل والجشع والأثرة، ولا يمشي أحدهم في حاجة أخيه إلا لمصلحة يرجوها، ويستغل فيه عوز وضيق وفقر الناس ويراهما فرصة يغتنمها للتمول والاستثمار، فتكون مصلحة الطبقات الغنية الموسرة فيه مناقضة لمصلحة الطبقات المعدمة، لا يمكن أن يقوم ويظل قائماً مثل هذا المجتمع على قواعد محكمة أبداً، ولا بد أن تبقى أجزائه مائلة إلى التفكك والتشتت في كل حين من الأحيان. بل يكون بينهم فقدان التآلف وحصول الكراهية والحقد والبغض بين أفراد ذلك المجتمع.

قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]. وقال ﷺ: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية» صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٢٩/٣ وقال عليه الصلاة والسلام: «الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه» صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٤٨٨/٤ «ولعن رسول الله ﷺ أكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه».

إن صور أكل الحرام كثيرة ومنها: السرقة، والرشوة،
والميسر، والغصب، والغش، والغلول، والغبن الفاحش في البيع
والشراء كلها تندرج تحت أكل الأموال بالباطل وبعضها أشد من
بعض.

وقد يطول المقام بذكرها وهي بينه واضحة لكل ذي بصيرة نور
الله قلبه بالإسلام والإيمان.

ومن الحرام كذلك ما حرم الله من الطعام والشراب والملبس
فقد حرم الله تناول الخنزير والدم والميتة والموقوذه والمتردية
والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم، أو ما ذبح على النصب كما
قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى
النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقُوا بِأَنْفُسِكُمْ فَسَنْقُذَكُمْ فَسَقُذُكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وحرم قليل
الخمير وكثيره والخمر هو كل ما أسكر سواء كان مشروباً
كالكحوليات أو مأكولاً كالعقاقير وحبوب الهلوسة أو مشموماً
كسائر المخدرات كالخشيشة والهيروين والأفيون وغيرها، نسأل
الله أن يعافي أبناء المسلمين منها.

ومن الحرام كذلك ما يلبسه الرجال من الذهب والحديد فهما
حرام على الذكور دون الإناث.

وليس القصد في هذه العجالة الكلام على كل ما حرم الله من المطعوم والمشروب والملبوس فمجاله آخر، إنما القصد التحذير من أكل الحرام في الجملة مع ذكر ما اشتهر بين الناس في عصرنا مما أصبح عندهم أشبه بالحلال بل ويروج له عبر الإذاعات والتلفزة وفي الطرقات وقد تفتنوا بأساليب الإغواء فنسأله سبحانه أن يهدي المسلمين وينور بصائرهم بالخير إنه على ذلك قدير.

٥ - ارتكاب المحرمات :

كما قال تعالى حكاية عن فرعون بعد أن أدركه الغرق وعلم أنه لا مناص من عقاب الله وغضبه وسخطه ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ ءَبْنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠-٩١]، فلم يستجب الله لدعائه فجعله عبره وآية نسي الله فنساه الله.

٦ - ترك الواجبات :

أن يكون مضيعاً لما فرضه الله عليه من الصلاة والصيام والزكاة وسائر العبادات ومن أعرض فقد ابتعد عن الله وقطع الصلة بينه

وبين ربه وفي الحديث عن أبي هريرة أن النبي قال: «تعرف على الله في الرخاء، يعرفك في الشدة» صحيح الجامع ٢٩٦١.

يعني أن العبد إذا اتقى الله، وحفظ حدوده، وراعى حقوقه في حال رخائه فقد تعرف بذلك إلى الله وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة.

فيعرفه ربه في الشدة، بمعنى أنه يفرجها له في الشدة، ويراعي له تعرفه إليه في الرخاء فينجيه من الشدائد. وفي الحديث: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» رواه البخاري.

فإذا أحبه الله وفقه للهدايه وفتح عليه أبواب الخير فلا يسمع ولا يبصر ولا يبطش ولا يمشي إلا في الله ومع الله وبالله.

فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته كما قال تعالى عن نبيه يونس عليه الصلاة والسلام لما التقمه الحوت:

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
[الصافات: ١٤٣-١٤٤] أي لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة.

قال بعض السلف: إذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة،
إن يونس عليه الصلاة والسلام كان يذكر الله، فلما وقع في بطن
الحوت قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

وقد كان سؤال معاذ رضي الله عنه لرسول الله ﷺ عظيماً حيث
سئل فقال أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. وهل
يحرص المؤمن إلا على رضى الرحمن فأجابه ﷺ إجابة جمع فيها
الخير كله فقال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله
عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم
رمضان وتحج البيت» ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير» قلت:
بلى يا رسول الله قال: «الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما
يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قال: «ألا أخبرك
برأس الأمر وعموده وذروة سنامه، رأس الأمر الإسلام وعموده
الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» ثم قال: «ألا أخبرك
بملاك ذلك كله»؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: كف عليك هذا
وأشار إلى لسانه قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به

فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» رواه الترمذي وابن ماجه بسند حسنه الألباني في الأرواء ٤١٣.

٧ - أن يدعو الإنسان وقلبه غافل لاه :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا سألتهم الله عز وجل يا أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل» رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ١٦٥.

قال الإمام ابن القيم: «الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، لكن قد يتخلف عنه أثره إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء فيكون بمنزلة القوس الرخو جداً، فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها» الجواب الكافي (١-٣).

٨ - ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

فإن من أهم المهمات وأفضل القربات التناصح والتوجيه إلى الخير والتواصي بالحق والصبر عليه ، والتحذير مما يخالفه ويغضب الله عز وجل ، ويباعد من رحمته فقد جاء في الحديث أنه قال ﷺ : «يقول الله عز وجل : مروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أستجيب لكم وقبل أن تسألوني فلا أعطيكم وقبل أن تستنصروني فلا أنصركم فما زاد عليهن حتى نزل» رواه ابن ماجه وحسنه الألباني في الترغيب ٢٣٢.

وفي حديث ابن مسعود عند أحمد وأبي داود والترمذي يقول عليه الصلاة والسلام : «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسهم وأكلوهم وشاربوهم فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم ببعض ثم لعنهم على لسان أنبيائهم داود وعيسى بن مريم ذلك ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

وفي لفظ آخر: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أن الرجل كان يلقي الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تفعل من المعاصي ثم يلقاه في الغد فلا يمنعه ما رآه منه أن يكون أكيله

وشريبه وقعيده فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم».

٩ - الدعاء بأمر قد فرغ الله منه :

كأن يدعوا بأن يدخل الله الكافر الجنة أو أن يقيم الساعة أو يبعث رسولاً أو ينزل آية .. وهذا كله مما فرغ الله منه ولكن قد يدعو العبد فبدعاه يرد الله به بعض القدر.

الدعاء يرد القضاء :

ومن الدعاء ما يتصارع مع القضاء في السماء حتى يرده بأذن الله فقد روى الحاكم وصححه ابن حبان أن النبي ﷺ قال: «لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر...» ورواه الترمذي وقال: حسن غريب، وعند البزار والطبراني والحاكم: «لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء ينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة» ومعنى يعتلجان: يتصارعان ويتدافعان.

قال العلماء في هذا:

«إن القضاء نوع من علم الله تعالى بما سيكون عليه حال العبد قبل خلقه، ومنه قضاء مبرم لا بد من وقوعه لا يدفعه ولا يرفعه شيء، ومنه قضاء معلق في وقوعه أو رفعه على شيء، فالموت مثلاً قضاء مبرم لا بد منه ولا يدفعه شيء وطول العمر قضاء معلق على فعل، مثل صلة الرحم وعمل خير آخر، كما في حديث «من سره أن ييسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» رواه أحمد وغيره.

ومن هذا النوع المعلق أن يعلم الله سبحانه أن شيئاً سيحصل للعبد عند دعائه، وأن مرضاً سيصيبه لا يبرأ منه إلا بالدعاء والعلاج، فكل حركات العبد والكون معلومة مكشوفة لله تعالى، ولكنها مغيبة عنا، ولذلك أمرنا بطاعته، ومن الطاعة الدعاء الذي يؤكد الإنسان فيه إيمانه بضعفه وحاجته إلى الله، وقد عبر هذا الحديث بأنه العبادة أو مخ العبادة، فإذا حصل الدعاء وتم ما أراد الله كانت إرادته مرتبطة بدعاء العبد كما علمها من قبل، وما دام القضاء مغيباً علينا فعلياً امتثال أمر الله في الدعاء وغيره، ولو علمنا ما قدر لنا ما كان هناك معنى للتكليف ولركدت حركة الحياة.

أخطاء في الدعاء :

١ - أن يشتمل الدعاء على شيء من التوسلات الشركية :

كأن يُدعى غير الله من بشر، أو حجر، أو شجر، أو جن، لأن الدعاء عبادة، وصرفه لغير الله شرك، والشرك أعظم ذنب عصي الله به، وهذا النوع يكثر عند الرافضة وهم الذين عظموا المشاهد والقبور وعطلوا المساجد وكان بداية هذا النوع من الشرك في عهد الدولة الفاطمية الرافضية ودولة بني بويه.

٢ - أن يشتمل على شيء من التوسلات البدعية :

كالتوسل بذات النبي ﷺ، أو بجاهه، فهذا توسل بدعي والبدعة يريد الكفر.

٣ - تمني الموت وسؤال الله ذلك :

فعن قيس قال: أتيت خباباً وقد اكتوى سبعاً قال: «لولا أن رسول الله ﷺ نهانا عن أن ندعو بالموت لدعوت به» رواه البخاري.

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

٤ - الدعاء بتعجيل العقوبة :

كأن يقول اللهم عاقبني على ذنبي في الدنيا، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خَفَتَ فِصَارَ مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟؟» قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله، لا تطيقه، أو لا تستطيعه، أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار؟ فدعا الله له، فشفاه» رواه مسلم.

٥ - الدعاء بما هو مستحيل :

كأن يدعو بأن يخلد في الدنيا، أو أن يعطى النبوة.

٦ - أن يدعو بما دل الشرع على عدم وقوعه :

كأن يدعو على مسلم ألا يدخل الجنة، أو أن يدعو لكافر بدخول الجنة بعد أن مات على الكفر.

٧ - الدعاء على الأهل والأموال والنفس :

فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم» رواه مسلم.

فكم من أب أو أم دعت على أبنائها ساعة غضب فاستجاب الله لها، فكان الدعاء بالهداية والصلاح أولى من الدعاء بالعقاب والحساب.

٨ - الدعاء بانتشار المعصية :

كما تفعل الرافضة فهم يدعون ويتمنون أن ينتشر الفساد، وتكثر المعاصي، حتى يخرج المهدي - بزعمهم - فيملأ الأرض عدلاً.

٩ - تحجير الرحمة :

كمن يدعوا الله تعالى ويقول اشفني وحدي وارزقني وحدي أو ارحمني وحدي وهكذا أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال «قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فلما

سلم النبي ﷺ قال للأعرابي : «لقد حَجَرْتُ واسِعاً». يريد رحمة الله.

١٠ - أن يخص الإمام نفسه بالدعاء دون المأمومين إذا كانوا يؤمنون وراءه :

كما في حديث ثوبان قال رسول الله ﷺ : «لا يؤم قوماً فيخص نفسه بدعوة دونهم ، فإن فعل فقد خانهم» حديث حسن ، أما دعاؤه في سجوده ، أو في آخر الصلاة قبل أن يسلم ، فلا بأس به .

١١ - الدعاء على وجه التجربة والاختبار لله عز وجل :

كأن يقول سأجرب وأدعو ؛ لأرى أيستجاب لي أم لا ؟

١٢ - أن يعتمد العبد على غيره في الدعاء :

فتجد من الناس من لا يدعو الله بنفسه ؛ بحجة أنه مذنّب ، فعلينا أن نكثر من دعاء ربنا ، وأن نحسن الظن به ، فإذا كان جل وعلا يجيب دعاء المشركين عند الإضطرار فإن إجابته للمؤمنين مع تقصيرهم من باب أولى .

١٣ - اليأس أو قلة اليقين من إجابة الدعاء :

كمن يصاب بمرض ويغلب على ظنه أنه لا يبرأ فيترك الدعاء، وكذلك الحال بالنسبة لبعض من يبتلى بالعقم فيترك الدعاء بحجة أنه قدر ومكتوب، أو بعض الوالدين الذين يتركون الدعاء لأولادهم يئساً من صلاحهم.

فهذا لا ينبغي أن يصدر من مسلم فالله هو الذي قدر وهو القادر والأمر بيده والكون كله ملك له.

١٤ - دعاء الله بأسماء لم ترد في الكتاب والسنة :

كقول بعض الناس: يا سلطان، يا غفران، يا سبحان وكذلك قول بعضهم: يا رب القرآن قال الخطابي رحمه الله: «وأول من أنكر ذلك ابن عباس رحمه الله فإنه سمع رجلاً يقول عند الكعبة: يا رب القرآن فقال: مه! إن القرآن لا رب له؛ إن كل مربوب مخلوق».

١٥ - الدعاء باللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه :

فهذا الدعاء يكثر على الألسنة، وهو خطأ؛ ذلك أنه شرع لنا أن نسأل رد القضاء، بل إن الله تعالى أمرنا بذلك كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ من شرِّ ما خلق.

وكما في الدعاء المشهور: (وقني شر ما قضيت)؛ ولهذا بوب الإمام البخاري في صحيحه باباً قال فيه (باب من تعوذ بالله من درك الشقاء، وسوء القضاء) وقد سبق أن تكلمنا عن أن الدعاء يرد القدر فليراجع.

١٦ - تصنع البكاء، ورفع الصوت بذلك :

كحال من يرفع صوته بالبكاء أثناء دعاء القنوت في شهر رمضان، فهذا خطأ ومناف للإخلاص إلا من غلب على نفسه، ولم يستطع أن يتمالك نفسه فلا حرج عليه.

١٧ - الإطالة بالدعاء حال القنوت ، والدعاء بما لا يناسب

المقصود فيه :

فالقنوت يشرع عند النوازل للدعاء لقوم وللدعاء على آخرين ، فإطالة دعاء القنوت خطأ ، وخلاف السنة ؛ والالتزام بالمأثور الثابت عن النبي ﷺ أجمع للقلب ، وأبعد عن المشقة على المأمومين وليلتزم جوامع الدعاء فقد ثبت أن النبي ﷺ قد علم الحسن رضي الله عنه دعاء القنوت وهي كلمات معدودات اشتملت على خيري الدنيا والآخرة.

أخرج النسائي في السنن ١٧٥٦ : قال الحسن علّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر في القنوت : «اللهم اهْدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يُقضى عليك وإنه لا يذلُّ من واليت تباركت ربنا وتعاليت».

قوله ﷺ (وَرَجَوْتَنِي):

الرجاء عبودية قلبية :

قرن سبحانه بين الدعاء والرجاء فالرجاء عبودية قلبية لا بد منها وهي حسن الظن بالله تعالى فالرجاء هو: الاستبشار بوجود فضل الربّ تعالى، والأرتياح لمطالعة كرمه، وقيل: هو الثقة بوجود الربّ. وقيل: الرجاء ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة. وهو من أجلّ منازل السالكين وأعلاها وأشرفها، وقد مدح الله تعالى أهله وأثنى عليهم فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ

الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأخبر تعالى عن خواصّ عباده الذين كان المشركون يزعمون أنهم يتقربون بهم إلى الله أنهم كانوا راجين له خائفين منه فقال: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦ - ٥٧].

قال ابن القيم رحمه الله:

(فالرجاء عبودية وتعلق بالله من حيث اسمه البر المحسن، فذلك التعبد والتعلق بهذا الاسم والمعرفة بالله هو الذي أوجب

للعبد الرّجاء من حيث يدري ومن حيث لا يدري، فقوّة الرّجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وغلبة رحمته على غضبه. ولولا روح الرّجاء لعطّلت عبوديّة القلب والجوارح، وهُدّمت صوامعُ وبيعُ وصلواتُ ومساجدُ يذكر فيها اسم الله كثيراً. بل لولا روح الرّجاء لما تحرّكت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سُفنُ الأعمال في بحر الإرادات). مدارج السالكين (٢-٤٢).

نظر الفضيل بن عياض إلى تسييح الناس وبكائهم عشية عرفة فقال: «أرأيتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل فسألوه دانقاً - سدس درهم - أكان يردهم؟ قالوا: لا. قال: والله للمغفرة عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق».

وقد قيل:

وإني لأدعو الله أطلب عفوه وأعلم أن الله يعفو ويغفر
لئن أعظم الناس الذنوب فإنها وإن عظمت في رحمة الله تصغر

وحريّ بالعبد أن يعظم رجاؤه بربه خاصة عند نزول الموت بساحته، فإن الله عز وجل يقول: «أنا عند ظن عبدي بي».

ولأجل هذا المعنى لما دخل واثلة بن الأسقع رضي الله عنه
على يزيد بن الأسود وهو يحتضر، فقال واثلة:

(ألا تخبرني عن شيء أسأل عنه، كيف ظنك بالله؟ قال:
أعجزتني ذنوبٌ لي أشفيت على هلكة، ولكن أرجو رحمة الله.
فكبر واثلة وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله عز
وجل: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما يشاء». ولهذا المعنى
أيضا قال سليمان التيمي حين حضرته الوفاة لابنه معتمر: يا معتمر،
حدثني بالرخص؛ لعلني ألقى الله وأنا أحسن الظن به) ابن حبان (٦٤١).

فالرجاء سمة المؤمن وصفته وهو يأتي بمعنى حسن الظن بالله
تعالى والأستبشار بما عنده من الخير والرحمة والإحسان والعفو
والرغبة في لقائه بالآخرة وقد قيل:

يا كبير الذنب عفو الـ	له من ذنبك أكبر
أعظم الأشياء في	جنب عفو الله يصغر

وقال آخر:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً فلقد علمت بأن عفوك أعظمُ
إن كان لا يرجوك إلا مُحسنُ فمن الذي يرجو ويدعو المحرمُ
مالي إليك وسيلةٌ إلا الرجا وجميلُ عفوك ثم إنني مسلمُ

وقال آخر:

ولما قسى قلبي وضافت مذاهبي جعلتُ رجائي نحو عفوك سُلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنتُهُ بعفوك ربي كانَ عفَ أعضما

أنواع الرجاء :

ذكر العلماء رحمهم الله أن أنواع الرجاء ثلاثة: نوعان محمودان ونوع غرور مذموم، فالأول: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه، الثاني: رجل أذنب ذنباً ثم تاب منها فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه، والثالث: رجل متماد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب فهو رجاء مذموم.

قال أبو علي الروذباري: «الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت».

وقال ابن حجر في الفتح (١٨-٢٩٠):

(فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف ولا في الخوف عن الرجاء لئلا يفضي في الأول إلى المكر وفي الثاني إلى القنوط وكل منهما مذموم، والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجياً عدم المؤاخذه بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور، وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: «من علامة السعادة أن تطيع، وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي، وترجو أن تنجو».

وقد أخرج ابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن أبيه «عن عائشة قلت: يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الذي يسرق ويزني؟ قال: لا ولكنه الذي يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف أن لا يقبله منه» وهذا كله متفق على استحبابه في حالة الصحة، وقيل الأول أن يكون الخوف في الصحة أكثر وفي

المرض عكسه ، وأما عند الإشراف على الموت فاستحب قوم الاقتصار على الرجاء لما يتضمن من الافتقار إلى الله تعالى ، ولأن المحذور من ترك الخوف قد تعذر فيتعين حسن الظن بالله برجاء عفوه ومغفرته ، ويؤيده حديث « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن الله ».

وقيل : «والرجاء يكون على أصل والتمني لا يكون على أصل فالعبد إذا اجتهد في الطاعات يقول أرجو أن يتقبل الله مني هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعفو وأحسن الظن فهذا رجاء وأما إذا غفل وترك الطاعة وارتكب المعاصي ولم يبال بوعد الله ولا وعيده ثم أخذ يقول أرجو منه الجنة والنجاة من النار فهذه أمنية لا طائل تحتها سماها رجاء وحسن ظن وذلك خطأ وضلال وهو المشار إليه في الحديث وفيه قال الحسن : «إن أقواماً ألتهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ليس لهم حسنة يقول : إني أحسن الظن بربي كذب ولو أحسن الظن بربه لأحسن العمل». فيض القدير ٦٧/٥.

الرجاء يدفع إلى العمل :

من يشاهد الواقع في دنيا الناس يرى أن كثيرا من المفرطين في الطاعات المجترئين على فعل المعاصي والسيئات يزعمون ثقتهم

برحمة الله وعفوه مع قيامهم على معصية الله، وهذا فهم قاصر
لمعنى الرجاء بل هو رجاء الكاذبين يصدق على أصحابه ذم الإمام
الحسن البصري رحمه الله حين قال: (إن قوما ألتهتهم أمانى المغفرة
حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، يقولون: نحسن الظن بالله،
وكذبوا فلو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل).

وسئل أحمد بن عاصم: «ما علامة الرجاء في العبد فقال: أن
يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر راجياً لتمام النعمة من الله
عليه في الدنيا والآخرة وتمام عفوه عنه في الآخرة».

فالرجاء من أصول الطاعة وهو ملازم للأمل والخوف، ومقترن
بالعمل فمن آمن وهاجر وجاهد أنما يرجو رحمة الله كما قال
تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

قوله ﷺ «ولا أبالي»: المبالاة منتفيه بحق الله تعالى :

والمبالاة إنما تكون ممن يخاف على نقصان ملكه وهذا منتف
بحق الله تعالى فهو الذي يملك خزائن السموات والأرض ولا يكون
شيء إلا بإذنه فطاعة العباد له لا تزيد في ملكه ذره كما أن معصية

الخلق له لا تنقص من ملكه سبحانه شيء ولا أبالي أي والحال إنني لا أتعظم مغفرتك عليّ وإن كان ذنباً كبيراً أو كثيراً.

قال الطيبيُّ: (في قوله ولا أبالي معنى لا يُسأل عما يفعل).

قوله ﷺ «عنان السماء» :

بفتح العين أي سحبها وقيل ما علا منها أي ظهر لك منها إذا رفعت رأسك إلى السماء. قال الطيبي: العنان السحاب وإضافتها إلى السماء تصوير لارتفاعه وأنه بلغ مبلغ السماء وهذه نهاية الكثرة ولكن كرمه وحلمه سبحانه وعفوه أكثر وأعظم وليس بينهما مناسبة ولا التفضيل له هنا مدخل فتتلاشى ذنوب العالم عند حلمه وعفوه.

والمعنى أنه لو كثرت ذنوب العبد حتى بلغت عنان السماء، أي: بلغت أقطار السماء وعمت نواحيها إلى فوق أو ما دون ذلك كالسحاب أو ما يبلغه بصر الناظر، ثم حصل من العبد الاستغفار مع التوبة من جميع الذنوب، فإن الله تعالى يغفر تلك الذنوب ويتجاوز عنها غير مبال بكثرتها فإن استدعاء الاستغفار للمغفرة يستوي فيه القليل والكثير.

قوله ﷺ : «بقراب الأرض» :

بضم القاف ويكسر أي بما يقارب ملأها وما الأرض بالنسبة
لملك الله إلا ذرة أو أقل من ذلك فلا يعجزه سبحانه فلو علم العبد
ما عند الله من المغفرة لأتكل عليها.

قوله ﷺ : «ثم استغفرتني» : وهذا هو السبب الثاني من أسباب
المغفرة.

تعريف الاستغفار : الاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة: «هو
وقاية شر الذنوب مع سترها فبالاستغفار تختتم العبادات ليقر العبد
بتقصيره فيغفر له ذنبه».

فضيلته : أمر الله تعالى به وختم به الطاعات والعبادات وجعله
سلاح المهمومين ودرع الموحدين.

فقد جاء الاستغفار بعد فريضة الحج قال سبحانه: ﴿ثُمَّ
أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّكَاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٩].

وفي الأسحار عند الفراغ من قيام الليل: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ وَيَا لَأَسْحَارٍ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٧﴾ [الذاريات: ١٧].

وأثنى الله على المستغفرين بأوقات السحر فقال: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

وقد أمر الله نبيه بعد أن بلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده وأتى بما أمر الله به مما لم يصل إليه أحد غيره فقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٦٠﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُمْ كَانَ تَوَّابًا ﴿٦١﴾ [الفتح: ٦٠-٦١].

ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار كما قال الله تعالى: ﴿الرَّ كُنْتُ أَحْكَمَتَّ أَبْنَاءُ ثُمَّ فَضَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿١﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمِيعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٢﴾ [هود: ١-٣].

وعند جموع النفس وميلها ومواقعة الذنب: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وجاء على السنة أنبياء الله ورسله: قال سبحانه على لسان نبينا محمد ﷺ: ﴿فَاسْتَغْفِرُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

وقال سبحانه على لسان نبيه هود عليه الصلاة والسلام: ﴿يَقُومُوا رَبَّكُمُ اللَّهُ تَتُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

وعلى لسان صالح عليه الصلاة والسلام: ﴿يَقُومُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

وعلى لسان شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩].

وبه تفتح مغاليق الأمور كما قال سبحانه وتعالى على لسان نبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

وبه تُستمد الأرزاق، ويُستكثر من المال والولد، وتُستمطر السماء قال جل جلاله على لسان نوح عليه السلام:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وبه أمرنا أن نُودّع أمواتنا، حيث كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له الثبیت؛ فإنه الآن يسأل». رواه أبو داود وصححه الألباني (٢٧٥٨).

وبالاستغفار تتحات الخطايا والذنوب: قال رسول الله ﷺ: «من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً غُفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف». رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يُخرجاه.

وعن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا يقول إني كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعتني الله منه بما شاء أن ينفعني به وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته فإذا حلف لي

صدقته وإنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾» أخرجه أحمد والأربعة وصححه ابن حبان.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له» رواه مسلم.

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله قال: «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني»، أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وقال صحيح الإسناد.

قال ابن عيينة: «غضب الله داء لا دواء له ... وعقّب عليه الإمام الذهبي بقوله: دواؤه كثرة الاستغفار بالأسحار والتوبة النصوح».

وقد كان الذي غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر عليه الصلاة والسلام يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة». رواه البخاري.

وقال عليه الصلاة والسلام: «إنه ليُغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة». رواه مسلم.

قال الإمام النووي: (والمراد هنا ما يتغشى القلب. قال القاضي: قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه فإذا فتر عنه أو غفل عدّ ذلك ذنباً واستغفر منه).

وروى مكحول عن أبي هريرة قال: «ما رأيت أكثر استغفاراً من رسول الله ﷺ». وقال مكحول: «ما رأيت أكثر استغفاراً من أبي هريرة». وكان مكحول كثير الاستغفار.

قال القرطبي: «قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار وثبت معناه في الجنان لا التلفظ باللسان، فأما من قال بلسانه: استغفر الله، وقلبه مُصِرٌّ على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار، وصغيرته لاحقةً بالكبائر». «وروي عن الحسن البصري أنه قال: استغفارنا يحتاج إلى استغفار».

قال بكر عبد الله المزني: «أنتم تكثرون من الذنوب فاستكثروا من الاستغفار، فإن الرجل إذا وجد في صحيفته بين كل سطرين استغفار سرّه مكان ذلك».

قال سفيان الثوري لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين: (لا أقوم حتى تحدثني قال له جعفر: أنا أحدثك، وما كثرة الحديث لك بخير، يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقائها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار، فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿أَسْتَغْفِرُكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِزِلَ عَلَيْكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.

يا سفيان إذا حزبك أمرٌ من سلطان أو غيره فأكثر من: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنة.

فعقد سفيان بيده وقال ثلاث ونصف ثلاث. قال جعفر: عقلها والله أبو عبد الله، ولينفعنه الله بها.

وفي وصية علي بن الحسن المسلمي: «وأكثر ذكر الموت، وأكثر الاستغفار مما قد سلف من ذنوبك، وسل الله السلامة لما بقي من عمرك».

فهو سبحانه غافر الذنب وقابل التوب: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣] وهي صيغة مبالغة.

قال بن رجب في جامع الحكم:

(وكثيراً ما يُقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذٍ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح وتارة يفرد الاستغفار، ويُرتب عليه المغفرة، كما ذكر في هذا الحديث وما أشبهه، فقد قيل: إنه أريد به الاستغفارُ المقترن بالتوبة، وقيل: إن نصوص الاستغفار المفردة كلّها مطلقة تُقيّدُ بما ذكر في آية [آل عمران] من عدم الإصرار؛ فإن الله وعد فيها المغفرة لمن استغفره من ذنوبه ولم يُصر على فعله، فتُحمَلُ النصوص المطلقة في الاستغفار كلّها على هذا المقيّد، ومجرد قول القائل: اللهم اغفر لي، طلبٌ منه للمغفرة ودعاءٌ بها، فيكون حكمه حكم سائر الدعاء، فإن شاء الله أجابه وغفر لصاحبه، لاسيما إذا خرج عن قلبٍ منكسرٍ بالذنوب أو صادف ساعةً من ساعات، وقال الحسن: أكثرُوا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى

موائدكم، وفي طُرُقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم أينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة الإجابة كالأسحار وأدبار الصوت).

ويُروى عن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه: (يا بني عَوِّدْ لسانك: اللهم اغفر لي، فإنَّ الله ساعاتٍ لا يردُّ فيها سائلاً).

وخرَّج ابنُ أبي الدنيا في كتاب حسن الظن من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «بينما رجلٌ مستلقٍ إذ نظر إلى السماء وإلى النجوم، فقال: إني لأعلم أن لك رباً خالقاً، اللهم اغفر لي، فغفر له».

وعن مورِّق قال: كان رجلٌ يعملُ السيئات، فخرج إلى البرية، فجمع تراباً، فاضطجع عليه مستلقياً، فقال: (رب اغفر لي ذنوبي، فقال: إن هذا ليعرف أن له رباً يغفر ويعذب، فغفر له).

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «إن عبداً أذنب ذنباً، فقال: رب أذنبْتُ ذنباً فاغفر لي، قال الله تعالى: عَلِمَ عبدي أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنباً آخر، فذكر مثل الأول مرتين آخرين» وفي رواية لمسلم: أنه قال في الثالثة: «قد غفرت لعبدي، فليعمل

ما شاء». والمعنى: ما دام على هذا الحال كلما أذنب استغفر، والظاهر أن مرداه الاستغفار المقرون بعدم الإصرار.

وقال عليه السلام: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً» أخرجه ابن ماجه في سننه وصححه الألباني، وكان ابن عمر: «يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول: إنكم لم تذبوا»، وقال قتادة: «إن هذا القرآن يدلکم على داءکم ودوائکم، فأما داءکم فالذنوب، وأما دوائکم فالاستغفار».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في المجموع (١٠-٨٨): «العبد دائماً بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنب منه يحتاج فيه إلى الاستغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائماً فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه ولا يزال محتاجاً إلى التوبة والاستغفار ولهذا كان سيد آدم وإمام المتقين محمد يستغفر في جميع الأحوال».

استغفار اللسان مع إصرار القلب على الذنب :

وهذا هو أكثر حالنا في هذا الزمان فإلى الله المشتكى فكم من مستغفر يقول اللهم أعفو عني اللهم أغفر لي اللهم تجاوز عني ولا يزال على ذنبه ومعصيته ويردد أن الله واسع المغفرة والرحمة وهذا

حق لا ريب فيه إلا أنه ينبغي على العبد أن يقدم الخوف على الأمن فلا توسع على نفسك باب الرجاء فإنك لا تدري من أي باب يدخل الشيطان عليك.

قال ابن القيم رحمه الله :

(الإصرار هو الإستقرار على المخالفة والعزم على المعاودة وذلك ذنب آخر لعله أعظم من الذنب الأول بكثير وهذا من عقوبة الذنب أنه يوجب ذنباً أكبر منه ثم الثاني كذلك ثم الثالث كذلك حتى يستحكم الهلاك.

فالإصرار على المعصية معصية أخرى والقعود عن تدارك الفارط من المعصية إصرار ورضا بها وطمأنينة إليها وذلك علامة الهلاك) مدارج السالكين (١ / ١٨١).

ويقول ابن رجب رحمه الله في أسباب المغفرة:
(وأما استغفار اللسان مع إصرار القلب على الذنب، فهو دعاء مجرد إن شاء الله أجابه، وإن شاء رده وقد يكون الإصرار مانعاً من الإجابة).

وفي "المسند" من حديث عبد الله ابن عمرو مرفوعاً: «ويل للذين يُصِرُّونَ على ما فعلوا وهم يعلمون».

قال الضحاك: «ثلاثة لا يُستجاب لهم، فذكر منهم: رجل مقيم على امرأة زنى كلما قضى شهوته، قال: رب اغفر لي ما أصبتُ من فلانة، فيقول الرب: تحول عنها، وأغفر لك، فأما ما دمت مقيماً عليها، فإني لا أغفر لك، ورجلٌ عنده مالٌ قوم يرى أهله، فيقول: رب اغفر لي ما آكل من مال فلان، فيقول تعالى: رد إليهم مالهم، وأغفر لك، وأما ما لم ترد إليهم، فلا أغفر لك».

وقل القائل: أستغفر الله، معناه: أطلبُ مغفرته، فهو كقوله: اللهم اغفر لي، فالاستغفار التام الموجب للمغفرة: هو ما قارن عدم الإصرار، كما مدح الله أهله، ووعدهم المغفرة، قال بعض العارفين: «من لم يكن ثمرةً استغفاره تصحيح توبته، فهو كاذب في استغفاره».

وفي ذلك يقول بعضهم:

استغفر الله من استغفر الله

من لفظةٍ بدَرَّتْ خالفتُ معناها

وكيف أرجو إجابات الدعاء وقد

سددتُ بالذنب عند الله مجراها

فأفضل الاستغفار ما اقترن به ترك الإصرار، وهو حينئذ توبةٌ

نصوح.

وجمهور العلماء على جواز أن يقول التائب: أتوب إلى الله، وأن يعاهد العبد ربه على أن لا يعود إلى المعصية، فإن العزم على ذلك واجبٌ عليه، فهو مخبر بما عزم عليه في الحال.

وقال في المعاوذ للذنوب: «قد غفرت لعبدي، فليعمل ما شاء». وفي حديث كفارة المجلس: «استغفرك الله وأتوب إليك»، وقطع النبي ﷺ سارقاً ثم قال له: «استغفر الله وتُب إليه»، فقال: «أستغفر الله وأتوب إليه»، فقال: «اللهم تُب عليه» خرَّجه أبو داود.

أفضل أنواع الاستغفار :

أن يبدأ العبد بالثناء على ربه، ثم يشني بالإعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة كما في حديث شداد بن أوس عن النبي ﷺ، قال: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» أخرجه البخاري.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين ٢١/١ :

(فتضمن هذا الإستغفار الإعتراف من العبد بربوبية الله وإلهيته وتوحيده والإعتراف بأنه خالقه العالم به إذ أنشأه نشأة تسلتزم عجزه عن أداء حقه وتقصير فيه والإعتراف بأنه عبده الذي ناصيته بيده وفي قبضته لا مهرب له منه ولا ولي له سواه ثم التزام الدخول تحت عهده وهو أمره ونهيه الذي عهده إليه على لسان رسوله وأن ذلك بحسب استطاعتي لا بحسب أداء حقك فإنه غير مقدور للبشر وإنما هو جهد المقل وقدر الطاقة ومع ذلك فأنا مصدق بوعدك الذي وعدته لأهل طاعتك بالثواب ولأهل معصيتك بالعقاب فأنا مقيم على عهدك مصدق بوعدك ثم أفزع إلى الإستعاذة والإعتصام بك من شر ما فرطت فيه من أمرك ونهيك فإنك إن لم تعذني من شره وإلا أحاطت بي الهلكة فإن إضاعة حقك سبب الهلاك وأنا أقر لك وألتزم بنعمتك علي وأقر وألتزم وأبوء بذنبي فمنك النعمة والإحسان والفضل ومني الذنب والإساءة فأسألك أن تغفر لي بمحو ذنبي وأن تعفيني من شره إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فلهذا كان هذا الدعاء سيد الإستغفار وهو متضمن لمحض العبودية فأني حسنة تبقى للبصير الصادق مع مشاهدته عيوب نفسه وعمله ومنه الله عليه فهذا الذي يعطيه نظره إلى نفسه ونقصه).

وقال ابن أبي جمرة: (جمع ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى سيد الاستغفار، ففيه الإقرار لله وحده بالإنسية والعبودية والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدتها وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو، وفي كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة، فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان في ذلك عون من الله تعالى). فتح الباري (١١/١٠٠).

وفي "الصحيحين" عن عبد الله بن عمرو أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله، علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم».

ومن أنواع الاستغفار أن يقول العبد: «استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه». وقد روي عن النبي ﷺ «أن من قاله، غُفر له وإن كان فر من الزحف» أخرجه أبو داود والترمذي. وفي كتاب "اليوم والليلة" للنسائي، عن خباب بن الأرت، قال:

قلت يا رسول الله، كيف أستغفر؟ قال: «قل: اللهم اغفر لنا وارحمنا وتُبْ علينا، إنك أنت التواب الرحيم»، وفيه عن أبي هريرة، قال: «ما رأيت أحداً أكثر أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ».

وفي السنن الأربعة عن ابن عمر، قال: إن كنا لنعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول: رب اغفر لي وتُبْ عليّ، إنك أنت التَّوابُ الغفور.

وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال وفي "المسند" عن حذيفة قال: قلت يا رسول الله إني ذَرَبُ اللسان وإن عامة ذلك على أهلي، فقال: «أين أنت من الاستغفار؛ إني لأستغفر الله في اليوم واللييلة مئة مرة». قال أبو هريرة: (إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم ألف مرة، وذلك على قدر ديتي).

ومن زاد اهتمامه بذنوبه، فربما تعلّق بأذيال من قلت ذنوبه، فالتمس منه الاستغفار، وكان عمر يطلب من الصبيان الاستغفار، ويقول: «إنكم لم تذنّبوا»، وكان أبو هريرة يقول لغلمان الكتاب: «قولوا اللهم اغفر لأبي هريرة، فيؤمن على دعائهم». قال بكر

المزني: «لو كان رجلٌ يطوف على الأبواب كما يطوف المسكين يقول: استغفروا لي، لكان نوله أن يفعل».

ومن كثرت ذنوبه وسيئاته حتى فاتت العد والإحصاء، فليستغفر الله مما علم الله، فإن الله قد علم كل شيء وأحصاه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنُسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، وفي حديث شداد بن أوس، عن النبي ﷺ: «أسألك من خير ما تعلم. وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب».

وفي هذا يقول بعضهم:

أستغفر الله مما يعلم الله	إن الشقي لمن لا يرحم الله
ما أحلم الله عمن لا يُراقبه	كلُّ مسيءٍ ولكن يحلم الله
فاستغفرُ الله مما كان من زلَلٍ	طوبى لمن كفَّ عما يكره الله
طوبى لمن حسنت فيه سريره	طوبى لمن ينتهي عما نهى الله

الفرق بين الاستغفار والتوبة :

إذا اقترن ذكر التوبة بالاستغفار فإن الاستغفار حينئذ هو طلب المغفرة بالدعاء، والتوبة هي الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة.

وقيل: إن الاستغفار إذا اقترن بالتوبة فإنه يعني طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، وأيضاً فالاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة، فالمغفرة أن يقيه شر الذنب، والتوبة أن تحصل له بعدها الوقاية مما يحبه.

وإذا أفرد الاستغفار أو أفردت التوبة يكون معناه واحداً.

قال ابن القيم في مدارج السالكين (١/٣٠٨): (الاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره، لا كما يظنه بعض الناس أن المغفرة تعني الستر، فإن الله يستر على من يغفر له، ومن لا يغفر له ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤه)، قوله: «ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً».

فضيلة التوحيد :

وهذا هو السبب الثالث والأخير في الحديث من أسباب المغفرة ألا وهو توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وهو السبب الأعظم، فمن فقدّه، فَقَدَ المغفرة، ومن جاء به، فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة فإن التوحيد هو أول واجب دعا إليه الرسل، وهو أصل دعوتهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] والتوحيد هو أعظم حق لله تعالى على عبده ففي الصحيحين من حديث معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» فمن حقق التوحيد دخل الجنة ومن فعل أو اعتقد ما ينافيه ويناقضه فهو من أهل النار ومن أجل التوحيد أمر الله الرسل بقتال أقوامهم حتى يعتقدوه قال الرسول ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله» متفق عليه.

وتحقيق التوحيد سبيل السعادة في الدنيا والآخرة، ومخالفته سبيل للشقاوة، وتحقيق التوحيد سبيل لاجتماع الأمة وتوحيد صفوفها وكلمتها والخلل في التوحيد سبب الفرقة والتشتت.

وهو الأصل الذي بنيت عليه الملة الحنيفية؛ فالاهتمام به اهتمام بالأصل، وإذا تدبرنا القرآن الكريم وجدنا أنه بيّن التوحيد تبياناً كاملاً، حتى إنه لا تخلو سورة من سور القرآن إلا وفيها بيان نوع من أنواع التوحيد ونهى عن ضده.

وقد قرر الإمام ابن القيم رحمه الله أن القرآن كله في التوحيد؛ لأنه: إما إخبار عن الله وأسمائه وصفاته، وهذا هو التوحيد العلمي الذي هو توحيد الربوبية، وإما أمر بعبادة الله وحده لا شريك له ونهى عن الشرك، وهذا هو التوحيد العملي الطلبى، وهو توحيد الألوهية.

وإما أمر بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ونهى عن معصية الله ومعصية رسوله ﷺ، وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما إخبار عما أعد الله للموحدين من النعيم والفوز والنجاة والنصر في الدنيا والآخرة، أو إخبار عما حل بالمشركين من النكال في الدنيا والآخرة، وما أعد لهم في الآخرة من العذاب الدائم والخلود المؤبد في جهنم، وهذا فيمن حقق التوحيد، وفيمن أهمل التوحيد». (مدارج السالكين: ٤٦٨/٣ بتصرف).

فالقرآن كله يدور على التوحيد ، وأنت إذا تأملت السور المكية تجد غالبها في التوحيد ؛ لأن النبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشر سنة يدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك ، وما نزلت عليه أغلب الفرائض من زكاة وصيام وحج وغير ذلك من أمور الحلال والحرام ، وأمور المعاملات ، إلا بعد الهجرة في المدينة ، إلا الصلاة فقد فرضت عليه في مكة ليلة المعراج حين أسري به ﷺ ولكن كان هذا قبيل الهجرة بقليل .

ولذلك كان غالب السور المكية التي نزلت على النبي ﷺ قبل الهجرة ، كلها في قضايا التوحيد ، مما يدل على أهميته ، وأن الفرائض لم تنزل إلا بعد أن تقرر التوحيد ، ورسخ في النفوس ، وبانت العقيدة الصحيحة ؛ لأن الأعمال لا تصح إلا بالتوحيد ، ولا تؤسس إلا على التوحيد ، فالتوحيد هو أفراد الله سبحانه وتعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وإليك بيانها :

الأول : توحيد الربوبية :

فهو الاعتقاد والإقرار بوجود الله تعالى ، وأنه رب العالمين خالق العباد ورازقهم ومحييهم ومميتهم ، وهو أفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ، لا يخرج عن قدرته شيء ولا يشذ عن ربوبيته أحد ، إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون وقد أقر

به المشركون على زمن رسول الله ﷺ وأقر به اليهود والنصارى
والمجوس ولم ينكر هذا التوحيد إلا الدهرية فيما سلف والشيوعية
في هذا الزمن، وهذا التوحيد لا يُدخل الإنسان في دين الإسلام
ولا يعصم دمه وماله ولا ينجيه في الآخرة من النار إلا إذا أتى معه
بتوحيد الألوهية، وهو مؤصل في الفِطر كما في الحديث:

«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو
يمجّسانه».

والكون كله ومنه الإنسان مفطور على الإقرار بهذا القسم من
التوحيد، وهو الذي عناه الأستاذ أبو الأعلى المودودي في كتابه
(مبادئ الإسلام) بقوله:

«من المعلوم أن كل شيء في هذا الكون منقاد لقاعدة معينة
وقانون خاص، فالشمس، والقمر والنجوم وكذلك الأرض،
مسخرات تحت قاعدة مطردة لا قبل لها بالحراك عنها والخروج
عليها، والماء والهواء والنور والحرارة كلها مذعنة لنظام خاص،
وللجمادات والنباتات والحيوانات ضابطة لا تنمو ولا تنقص ولا
تحيا ولا تموت إلا بموجبها حتى إن الإنسان نفسه إذا تدبرت شأنه
تبين لك أنه مذعن لسنن الله إذعاناً تاماً، فلا يتنفس ولا يحس
حاجته إلى الماء والغذاء والنور والحرارة إلا وفقاً لقانون الله المنظم

لحياته، ولهذا القانون ينقاد قلب الإنسان في حركته ودمه، وفي دورانه ونفسه، في دخوله وخروجه وله يستسلم جميع أعضاء جسده، كالدماع والمعدة والرئة والأعصاب والعضلات واليدين والرجلين واللسان والعينين والأنف والأذن.

فليست الوظائف التي تؤديها هذه الأعضاء إلا حسب ما قررت لها من الطريق.

فهذا القانون الشامل الذي يستسلم له ولا ينفك عن طاعته شيء في هذا الكون من أكبر سيارة في السماء إلى أصغر ذرة من الرمل في الأرض من وضع ملك جليل مقتدر، فإذا كان كل شيء في السموات والأرض وما بينهما منقاداً لهذا القانون فإن العالم كله مطيع لذلك الملك المقتدر الذي وضعه ومتبع لأثره.

ويتبين من هذه الوجهة أن الإسلام دين الكون طراً، لأن الإسلام معناه الانقياد والامتثال لأمر الأمر ونهيه بلا اعتراض كما عرفت آنفاً، فالشمس والقمر والأرض مسلمة، والهواء والماء والنور والظلام والحرارة مسلمة، والشجر والحجر والأنعام مسلمة، بل إن الإنسان الذي لا يعرف ربه ويجحد وجوده وينكر آياته، أو يعبد غيره ويشرك به سواء مسلم من حيث فطرته التي فطر عليها، وذلك أنه لا يولد ولا يحيا ولا يموت إلا وفقاً لما وضع الله

تعالى من قانون لولادته وحياته وموته ، وكذلك كل أعضاء جسده لا تدين إلا دين الإسلام ، لأنها لا تنشأ ولا تكبر ولا تتحرك إلا حسب هذا القانون الإلهي نفسه بل الحق أن لسانه الذي يستخدمه في إبداء آراء الشرك والكفر جهلاً وسفهاً لا يدين في نفسه إلا دين الإسلام.

وكذلك رأسه الذي يكرهه على الانحناء أمام غير الله لا يدين إلا دين الإسلام بسائق فطرته التي فطر عليها ، وكذلك قلبه الذي يعمره بحب الآخرين من دون الله وإجلالهم جهلاً وسفهاً إن هو إلا مسلم من لدن فطرته وسجيته ، فكل قد أسلم لله وانقاد...).

قال تعالى عنهم :

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [المؤمنون : ٨٤-٨٩].

وقال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ سَيَقُولُونَ

اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٦﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٧﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٨﴾
[يونس: ٣١-٣٣].

ولهذا ولكون المشركين الأولين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية لم يكن الرسل يدعونهم إلى هذا النوع من أنواع التوحيد، بل كانوا يدعونهم إلى النوع الذي ينكرونه، ويستدلون عليهم بتوحيد الربوبية هذا الذي يقرون به قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٣٦﴾﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [يونس: ٣] والآيات التي تدعو إلى التأمل والتدبر في الكون كثيرة ومع ذلك نجد من الناس من أنزل نفسه منزله الحيوان فألغى عقله وتفكيره ومن قبل جحد فطرته التي فطره الله عليها فنفى وجود خالق مدبر لهذا الكون الفسيح ولو تدبر في نفسه لعلم أن الحيوان قد سبقه التسبيح لله جل

وعلا: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٣-٤٤].

ولم يكن لهذه الطائفة الشاذة المنكرة لوجود الله تعالى أهمية في الأرض من قبل، أما اليوم في القرن الرابع عشر الهجري فقد قامت دول على أساس هذا الكفر والجحود فأسسوا النظريات وفتحوا الجامعات وسخروا الميزانيات، كروسيا والصين وغيرهما من دول المعسكر الشرقي ومن دار في فلكهم.

والحجة قائمة عليهم إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

٢ - توحيد الألوهية أو العبادة :

وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، وهو توحيد الله تبارك وتعالى بأفعال العبادة كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرغبة والإنابة.

وهذا التوحيد هو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو الذي جاءت به الرسل إلى أممهم لأن الرسل عليهم الصلاة والسلام جاءوا بتقرير توحيد الربوبية الذي كانت أممهم تعتقده ودعوتهم إلى توحيد الألوهية؛ قال الله تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ لَكَمُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴿٢٦﴾ إِنْ فِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلَيْسَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: ٢٥-٢٦]. وقوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وهذا التوحيد حق الله تعالى الواجب على العبيد وأعظم أوامر الدين وأساس الأعمال، وقد قرره القرآن وبين أنه لا نجاة ولا سعادة إلا به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

(التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الألوهية لله وحده بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله، ولا يعبدوا إلا إياه، ولا يتوكلوا إلا عليه تعالى، ولا يوالوا إلا له، ولا يعادوا إلا فيه، ولا يعلموا إلا لأجله، وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية) ١.هـ.

وقال كذلك : (وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين ، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة ، فمن لم يأت به كان من المشركين) مجموع الفتاوى (٣٨٠/١٤).

يقول ابن القيم رحمه الله : (لشهادة أن لا إله إلا الله عند الموت تأثير عظيم في تكفير السيئات وإحباطها ، لأنها شهادة من عبد موقن بها ، عارف بمضمونها ، قد ماتت منه الشهوات ، ولانت نفسه المتمردة ، وانقادت بعد إباطها واستعصائها ، وأقبلت بعد إعراضها ، وذلت بعد عزّها ، وخرج منها حرصها على الدنيا وفضولها ، واستخذت بين يدي ربها وفاطرها ومولاها الحق أدلّ ما كانت له وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته ، وتجرد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقق بطلانه ، فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة بها ، واجتمع همها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه ، فوجه العبد وجهه بكليته إليه ، وأقبل بقلبه وروحه وهمه عليه ، فاستسلم له وحده ظاهراً وباطناً ، واستوى سره وعلايته ، فقال : لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه ، وقد تخلص قلبه من التعلق بغيره والالتفات إلى ما سواه ، قد خرجت الدنيا كلها من قلبه ، وقد تخلص قلبه من التعلق بغيره والالتفات إلى ما سواه ، قد خرجت الدنيا كلها من قلبه ، وشارف القدوم على ربه ، وخمدت نيران شهوته ، وامتلاً قلبه من الآخرة ، فصارت نصب عينيه ،

وصارت الدنيا وراء ظهره، فكان تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله، فطهرته من ذنوبه، وأدخلته على ربه، لأنه لقي ربه بشهادة صادقة خالصة، وافق ظاهرها باطنها وسرها علانياتها) الفوائد (٥٥/١).

وقال المقرئزي: (فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك، وهو شرك عبّاد الأصنام، وعبّاد الملائكة، وعبّاد الجن، وعبّاد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات، الذي قالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ويشفعوا لنا عنده، وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قربٌ وكرامة، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته، والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وتردّه، وتقبح أهله، وتنصّ على أنهم أعداء الله تعالى، وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم، وما أهلك الله تعالى من أهلك من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله).

وبهذا فإن توحيد الألوهية يستلزم أن نتوجه إلى الله وحده بجميع أنواع العبادة وأشكالها.

أنواع الشرك في الألوهية :

أ - شرك الدعاء .

ب - شرك النية والإرادة والقصد .

ج - شرك الطاعة .

د - شرك المحبة .

هـ - شرك الخوف .

و - الشرك في التوكل .

أ - شرك الدعاء :

وهو أن يصرف الدعاء بما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضرر لغير الله تعالى ، قال تعالى :

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. هذا إخبار عن عنادهم وأنهم عند الشدائد يقرون أن القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده، فإذا زالت عادوا إلى كفرهم.

قال عكرمة: «كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت بهم الرياح ألقيوها في البحر وقالوا يا رب يا رب».

وقال ابن جرير في تفسيره: «يقول تعالى: فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ، يقول: أخلصوا الله عند الشدة التي نزلت بهم التوحيد، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودية، ولم يستغيثوا بالهتهم وأندادهم ولكن بالله الذي خلقهم. ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ ، يقول: فلما خلّصهم مما كانوا فيه وسلمهم فصاروا إلى البر إذا هم

يجعلون مع الله شريكاً في عبادتهم ، ويدعون الآلهة والأوثان معه
أرباباً» (٦٠/٢٠).

قال ابن تيمية: «من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم
يدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً».

وقال ابن القيم: (ومن أنواعه أي: الشرك طلب الحوائج من
الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم)
مدارج السالكين (١/٣٤٦).

وقال سليمان آل الشيخ: (فاعلم أن العلماء أجمعوا على أن من
صرف شيئاً من نوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك ولو قال: لا إله إلا
الله محمد رسول الله وصلى وصام؛ إذ شرط الإسلام مع التللف
بالشهادتين أن لا يعبد إلا الله، فمن أتى بالشهادتين وعبد غير الله
فما أتى بهما حقيقة وإن تلفظ بهما، كاليهود الذين يقولون: لا إله
إلا الله وهم مشركون، ومجرد التلفظ بهما لا يكفي في الإسلام
بدون العمل بمعناها واعتقاده إجماعاً).

ومن صور هذا الشرك عبادة القبور واعتقاد أن الأولياء الموتى
يقضون الحاجات ويفرّجون الكربات والاستعانة والاستغاثة بهم
ودعاء الموتى من الأنبياء والصالحين أو غيرهم للشفاعة أو

للتخليص من الشدائد: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

ومنهم من يتخذ ذكر اسم الشيخ أو الولي مستغياً به عادته
وديدنه إن قام وإن قعد وإن عثر، وكلما وقع في ورطة أو مصيبة أو
كربة، فهذا يقول: يا محمد، وهذا يقول: يا علي، وهذا يقول: يا
حسين، وهذا يقول: يا بدوي، وهذا يقول: يا جيلاني، وهذا
يقول: يا شاذلي، وهذا يقول: يا رفاعي، وهذا يدعو العيدروس،
وهذا يدعو السيدة زينب، وذلك يدعو ابن علوان، والله يقول:
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيْسَ تَحِبُّوا لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وبعضهم يطوف بها، ويستلم أركانها، ويتمسح بها، ويقبل
أعتابها، ويعفر وجهه في ترتبها، ويسجد لها، ويقف أمامها خاشعاً
متذللاً متضرعاً يسئل مطلبه وحاجته، من شفاء مريض، أو حصول
ولد، ولربما سئل الجنة ونعيمها فينادي صاحب القبر: يا سيدي!
جئتك من بلد بعيد فلا تخيبي !!! ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ
لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

وبعضهم يحلق رأسه عند القبر ويضاهيها بحج بيت الله، وهناك كتب كثيرة تباع في بلاد المسلمين وعلى رأسها مشهد التي تقع في إيران تحت عنوان: "مناسك حج المشاهد" أي القبور والأضرحة وأول من أدخل ذلك في بلاد المسلمين دولة بني بويه والدولة الفاطمية فعظموا المشاهد وعمروها وعطلوا المساجد وخربوها ولبزال أحفادهم إلى يومنا هذا يسرون على نهج الضلالة والزيف حتى ظن بعضهم أن لهم تصرف في الكون كاعتقاد الرافضة في علي رضي الله عنه فالرافضة يضاهئون غلاة الصوفية في عبادة القبور وربما فاقوهم ولهم مؤلفات كثيرة منتشرة في كل مكان.

ومنها كتابا اسمه "مناسك حج المشاهد". ذكره شيخ الإسلام في المنهاج وقال عنه: «فيه من الكذب والشرك ما هو جنس كذب النصارى وشركهم ومنها تأخير صلاة المغرب مضاهاة لليهود..» (٢٠٦/٣).

فهناك منسك خاص لمن يريد زيارة قبر الحسين أو قبر الحسن أو فاطمة ويشرحون في هذه المؤلفات طقوساً كثيرة. بل ويجعلون قصد هذه المشاهد أفضل من الحج الأكبر لبيت الله الحرام ولذلك يقولون: "من زار قبر الحسين في يوم عاشوراء كتب الله له أجر ألف ألف حجة"، ومن أطرف الطرائف أن من لم يستطع الحج إلى قبر

الحسين يقف في سطح بيته ويتجه إلى القبر ثم يصلي في اتجاه القبر يكتب له بذلك عشرون حجة. نسأل الله السلامة والعافية.

لذا كان أول دعوة الرسل في التحذير من القبور وصرف أنواع العبادة كالدعاء والنذر والذبح والطواف التي لا ينبغي أن تكون إلا لله فقال سبحانه على لسان نوح عليه السلام: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّمُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٦١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٦٢﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٦٣﴾﴾ [نوح: ٢١-٢٣]، وروى البخاري في صحيحه عن عطاء عن ابن عباس "قال كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح عليه السلام فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم" [البخاري برقم ٤٩٢٠] "فجمعوا بين الفتنين فتنة عبادة الأصنام وفتنة عبادة القبور ونحوه ما روي عن مجاهد وغيره في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿٦١﴾﴾ بأن اللات رجل كان يلت السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه. وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦] والطاغوت ما تجاوز العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي تحذر من هذا الشرك كثيرة في القرآن.

وأما ما جاء في سنة نبينا ﷺ في التحذير من هاتين الفتنين
فكثيرة ومن ذلك :

الأول: نهى النبي ﷺ من أن تتخذ القبور مساجدًا ففي
الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال في مرضه الذي لم
يقم منه «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم
مساجد» يحذر ما صنعوا قالت ولولا ذلك لأبرز قبره عليه السلام
ولكن خشى أن يتخذ مسجداً "البخاري ١٣٣٠ ، مسلم ٥٣١ واللفظ
له" ، وعن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: «ألا إن من كان قبلكم
كانوا يتخذون قبور أنبياءهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد
فإنني أنهاكم عن ذلك» "مسلم ٥٣٢" واللفظ له ، وعن عائشة رضي
الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ وعلى آله وسلم كنيسة
رأتها بأرض الحبشة يقال لها "مارية" فذكرت ما رأتها فيها فقال
رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد
الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك
الصور أولئك شرار الخلق عند الله تعالى» البخاري ١٣٤١ ، مسلم ٥٢٨ .

ومعنى هذا النهي :

- أ- النهي عن الصلاة على القبور بالسجود عليها.
 - ب- النهي عن السجود إليها أو استقبالها بالصلاة والدعاء.
 - ج- النهي عن بناء المساجد عليها وحولها وقصد الصلاة فيها.
 - د- النهي عن وضعها وبناءها داخل المساجد وقصد الصلاة فيها.
- "ويراجع تحذير الساجد للألباني ص ٢٩ وسبل السلام للصنعاني (١/٢١٤). قال الهيثمي في الزواجر: (الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثاناً، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها) ثم ساق الأحاديث.

الثاني: نهى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الصلاة عندها أو إليها أو فيها فعن أبي مرثد الغنوي أنه قال ﷺ: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها» مسلم: ٩٧٢ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام» صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم الإرواء (٢٨٧) وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر»

رواه البخاري معلقاً والطبراني (٢/١٤٥/٣) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٠١٦)، وعن عمرو بن دينار «أنه نهى عن الصلاة وسط القبور» وروى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مرسلاً بسند صحيح «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد» "رواه عبد الرزاق (١٥٩١)".

حكم هذه الصلاة :

قال ابن القيم رحمه الله: (وعلى هذا فيهدم المسجد إذا بني على قبر كما ينش الميث إذا دفن في المسجد نصراً على ذلك الإمام أحمد وغيره فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر بل أيهما طراً على الآخر مُنْع منه وكان الحكم للسابق فلو وضعاً معاً لم يجز ولا يصلح هذا الوقف ولا يجوز ولا تصح الصلاة في هذا المسجد لنهي النبي ﷺ عن ذلك ولعنه من اتخذ القبر مسجداً أو أوقد عليه سراجاً، فهذا دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ونبيه وغرخته بين الناس كما ترى "زاد المعاد (٥٠١/٣)" ونحوه فتوى اللجنة الدائمة (٢٥٦/٦)، بل أفتى الشيخ الإمام ابن باز رحمه الله: (أنه لا يصلي في المسجد الذي فيه قبر أبداً وأن الصلاة باطلة ولا تصح ولو كان هو المسجد الوحيد في البلد، ولو أدى الأمر أن يصلي في بيته إن لم

يجد مسجداً آخر فليصل في بيته) "انتهى بمعناه من فتاويه (٢٣٩/١٣)".

الثالث: أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر بتسويتها وعدم ارتفاعها وعدم البناء عليها وعدم تزيينها حتى لا تحصل الفتنة بها، فعن أبي الهياج الأسدي أنه قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه «ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» مسلم (٩٦٩).

وعن عثمان رضي الله عنه: «أنه أمر بتسوية القبور فقبل هذا قبر ام عمرو ابن عثمان فأمر به فسوي». "رواه ابن أبي شيبة (١٣٨/٤)".

وعن جابر رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ: «نهى عن تجصيص القبر وأن يبنى عليه». مسلم (٩٧).

وفسر النهي عن البناء أنه:

- أ- النهي عن البناء بالحجارة والجص ونحوها.
- ب- أن يضرب عليها بخباء أو سقيفة، فكل الأمرين منهي عنه لما فيه من إضاعة المال ومشابهة أهل الجاهلية.

ب - شرك النية والإرادة والقصد :

وهو توجه العبد بالعبادة لغير الله تعالى فلا بد من استحضار النية وتجريدها من كل الشوائب والرغبات الذاتية والدنيوية، وإخلاصها لله تعالى في كل عمل من أعمال الآخرة، حتى يقبل عند الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وإسلام الوجه لله: إخلاص القصد والعمل له، والإحسان فيه وأداؤه على الصورة المرضية شرعاً قال الله - عز وجل - في حديثه القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» رواه مسلم.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [١٥] أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود: ١٥-١٦].

والآية يندرج فيه المؤمن والكافر ممن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها فقط، أي تكون إرداته مقصورة على حب الدنيا وزينتها ولم يكن طالباً لسعادات الآخرة، كان حكمه كذا وكذا.

وقيل أن الآية نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول عليه السلام الغنائم من دون أن يؤمنوا بالآخرة وثوابها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من عمل صالحاً التماس الدنيا، صوماً أو صلاة أو تهجداً بالليل لا يعملهُ إلا لالتماس الدنيا، يقول الله: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعلم التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين».

وقال ابن القيم: (أما الشرك في الإرادات والنيّات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقلّ من ينجو منه، من أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقريب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته) الجواب الكافي (١/٩٤).

ومما روى عن ابن مسعود: (لا ينفع قول إلا بعمل، ولا ينفع قول وعمل إلا بنية، ولا ينفع قول وعمل ونية إلا بما وافق السنة). وقال الفضيل بن عياض: (إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً وصواباً، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة، ثم قرأ الفضيل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال ابن عجلان: «لا يصلح العمل إلا بثلاث: التقوى لله، والنية الحسنة، والإصابة» (يعني: أن يؤدي على وجه الصواب شرعاً).

النوع الثالث : شرك الطاعة :

وهي طاعة الأحرار والرهبان في معصية الله تعالى ؛ كما قال تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

ومما يفسر هذه الآية ويوضحها ما رواه الترمذي وغيره عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم! قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونونه؟» فقلت: بلى. قال: «فتلك عبادتهم»، وسنده ضعيف، ولكن له شاهد عند ابن جرير موقوفاً من طريق حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري عن حذيفة وفي صحته نظر، ولكن تفسير الآية بما ذكر مشهور بين أهل التفاسير، ليس فيهم من يدفعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وهؤلاء الذين اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً - حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله - يكونون على وجهين: أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله، فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل؛ فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم؛ فكان من اتبع غيره في خلاف الدين - مع علمه أنه خلاف الدين - واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء).

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب». المجموع (٧٠/٧).

النوع الرابع: شرك المحبة:

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وأخرج البخاري بسنده عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله قال سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت إن ذلك لعظيم.

قلت ثم أيُّ قال: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قلت: ثم أيُّ قال: «أَنْ تَزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ».

والند هو المثل المنازع، واختلفوا في المراد بالأنداد على أقوال.

أحدها: أنها هي الأوثان التي اتخذوها آلهة لتقربهم إلى الله زلفى، ورجوا من عندها النفع والضرر، وقصدوها بالمسائل، ونذروا لها النذور، وقربوا لها القرابين، وهو قول أكثر المفسرين.

فالمشرك - لجهله بربه - تجده يحب الآلهة من الأصنام وغيرها كحب الله وأعظم من ذلك، تجده إذا انتُهكت، يغضب لها أعظم مما يغضب الله ويستبشر لها ما لا يستبشر الله.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ شَمَّرَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «وها هنا أربعة أنواع من المحبة، يجب التفريق بينها، وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها:

أحدها: محبة الله، ولا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.

الثاني: محبة ما يحب الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام، وتخرجه من الكفر وأحبُّ الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة، وأشدَّهم فيها.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحب، ولا تستقيم محبة ما يحب إلا فيه وله.

الرابعة: المحبة مع الله، وهي المحبة الشريكية، وكل من أحب شيئاً مع الله، لا الله، ولا من أجله، ولا فيه؛ فقد اتخذته ندّاً من دون الله وهذه محبة المشركين». الجواب الكافي (١/١٣٤).

كلها شر والشاهد أن صرف العبادات لغير الله شرك كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] فسمّاهم الله كافرين؛ لدعائهم معه غيره.

ومن الشرك الأكبر أيضاً: الذبح لغير الله: لأن الذبح لله قرينة له من أجل القربات؛ كما قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر]:

[٢] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
[الأنعام: ١٦٢] فالنسك هو الذبح.

فمن ذبح للأولياء أو للأصنام أو للجن - كما يفعله كثير من
الجهلة في بلاد المسلمين فقد خرج عن الإسلام، ودخل في دائرة
الكفر والضلال، لصرفه عبادة من أجل العبادات لغير الله.

ومن ذلك: النذر لغير الله: فهو شرك أكبر؛ لأن النذر عبادة؛
كما قال تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالْأَلْزَامِ﴾ [الإنسان: ٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ
مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾ [البقرة: ٢٧٠].

فمن نذر لولي وغيرهما؛ فقد خلع ربة الإسلام عن عنقه؛
لأنه لا يجوز النذر إلا لله، وصرفه لغير الله مناقض لما بعث الله به
محمد ﷺ فما يفعله عباد القبور من النذر لمن يعتقدون فيه ضرراً أو
نفعاً شرك أكبر مخرج عن الإسلام.

النوع الخامس: شرك الخوف:

قسم العلماء - رحمهم الله تعالى - الخوف إلى قسمين:

الأول: خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع؛ وهو ما
يسمى بخوف السر، وهذا لا يصلح إلا لله - سبحانه وتعالى -،

ومثاله الخوف من الأصنام، والخوف من الأموات، ومن الأولياء وغيرهم، كما يفعل بعض عباد القبور، الذين يخافون من أصحاب القبور أكثر مما يخافون الله.

الثاني: الخوف الطبيعي وشاهده قوله تعالى - عن موسى - عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١]، وهذا الخوف إن حمل صاحبه على ترك واجب أو فعل محرم فهو محرم، وإن استلزم شيئاً مباحاً فهو مباح.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]: وخوف العبد من الله - جل وعلا - عبادة من العبادات التي أوجبها الله - جل وعلا -، فالخوف والمحبة والرجاء عبادات قلبية واجبة، وتكملها تكميل للتوحيد، والنقص فيها نقص لكمال التوحيد.

فلا ينبغي للمؤمن أن يعتقد أن بعض المخلوقات تضره بمشيئتها وقدرتها فيخاف منها فإن ذلك شر بالله ويدخل في هذا الباب الرقى البدعية والتمائم، والرقى البدعية هي المشتعلة على الطلاس والكلم غير المفهوم والاستعانة بالجن في معرفة المرض أو فك السحر أو وضع التمام وهو ما يتعلق على الإنسان والحيوان من خيط أو ربطة سواء كان مكتوباً من الكلام البدعي الذي لم يرد

في القرآن والسنة أو حتى الوارد فيهما - على الصحيح - لأنها من أسباب الشرك قال الرسول ﷺ: «إن الرقى - أي الشركية - والتمايم والتولة شرك» رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في الصحيح ٣٣١.

ومن ذلك تعليق ورقة أو قطعة من النحاس أو الحديد في داخل السيارة فيها لفظ الجلالة أو آية الكرسي أو وضع مصحف داخل السيارة واعتقاد أن ذلك يحفظها ويمنع عنها الشر من عين أو نحوها ومن ذلك وضع قطعة على شكل كف زرقاء اللون أو مرسوم فيها عين فلا يجوز وضعه حيث يعتقد فيه دفع العين قال ﷺ: «من تعلق شيء وكل إليه» رواه أحمد والترمذي والحاكم وحسنه الألباني في الترغيب ٣٤٥٦.

ومنها لباس الحلقة والخيط أياً كان نوعها من صفر أو نحاس أو حديد أو جلد لرفع بلاء أو دفعة فهو من الشرك.

ومنها الاستعانة والاستعاذة بغير الله، قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «إذا استعنت فاستعن بالله وإذا سألت فسأل الله» رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني المشكاة ٥٣٠٢.

ومنها الغلو بالأولياء الصالحين ، ورفعهم عن منزلتهم وذلك بالغلو في تعظيمهم أو رفع منزلتهم إلى منزلة الرسل أو ظن العصمة فيهم .

ومنها السحر وإتيان السحرة والكهنة والمنجمين ونحوهم ، فالسحرة كفار ولا يجوز الذهاب إليهم ولا يجوز سؤالهم ، أو تصديقهم وإن تسموا بالأولياء والمشايخ ونحو ذلك .

ومنها الطيرة وهي التشائم بالطيور أو بيوم من الأيام أو بشهر أو بشخص ، كل ذلك لا يجوز ، فالطيرة شرك كما جاء بالحديث .

ومنها التعلق بالأسباب كالطبيب والعلاج والوظيفة وغيرها وعدم التوكل على الله ، والمشروع هو أن نبذل الأسباب كطلب العلاج والرزق ولكن مع تعلق القلب بالله لا بهذا السبب . ومنها التنجيم واستعمال النجوم في غير ما خلق له ، فلا تستخدم في معرفة المستقبل والغيب وكل هذا لا يجوز .

ومنها الاستسقاء بالنجوم والأنواء والمواسم واعتقاد أن النجوم هي التي تقدم المطر أو تأخره ، بل الذي ينزل المطر ويمنعه هو الله فقل : "مطرنا بفضل الله ورحمته" فكل ذلك يدخل تحت باب الخوف .

النوع السادس : شرك التوكل :

التوكل على الله هو عمل القلب الخالص فهو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، والإستسلام له والثقة به وتفويض الأمر إليه وحسن الظن به والطمأنينة والكفاية به وحده لا شريك له فهو عمل قلبي لا عمل لسانيّ والمؤمنون مأمورون بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى، والإيمان بأن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله، لأن الله هو الذي خلق الأسباب والمسببات وهو من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوي إيمانه، ويتم توحيده والآيات في فضل التوكل والأمر به كثيرة، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال عن أوليائه: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال لرسوله: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩]، وقال لرسوله: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، وقال له: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]، وقال له: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

﴿الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، وقال عن أنبيائه ورسله: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَنُوكِلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢] ، وقال عن أصحاب نبيه الذين قال لهم الناس: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] .

وفي الصحيحين في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتبون وعلى ربهم يتوكلون».

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وفي الصحيحين: أن رسول الله كان يقول: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت: أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون».

وفي الترمذي بسند صححه الألباني : عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً : «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً» وفي السنن بسند صححه الألباني في صحيح الجامع ٤٩٩ : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قال إذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له : هديت ووقيت وكفيت فيقول الشيطان لشیطان آخر : كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي».

التوكل شرط في صحة الإسلام والأيمان :

قال تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس : ٨٤] فقولته : ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ أمر بإفراده بالتوكل - جل وعلا - ، ثم جعل إفراده بالتوكل - جل وعلا - شرطاً في صحة الإسلام فقال : ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ فهاتان الآيتان دللتا على أن التوكل عبادة ، وأن إفراده الله به - جل وعلا - واجب ، وأنه شرط في صحة الإسلام ، وشرط في صحة الإيمان.

قال ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ : (فجعل التوكل على الله شرطاً في الإيمان ، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه ، وكلما قوي إيمان العبد ؛ كان توكله

أقوى، وإذا ضعف الإيمان؛ ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفاً؛ كان دليلاً على ضعف الإيمان والله تعالى في مواضع من كتابه يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية؛ فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان لجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الرأس من الجسد؛ فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن؛ فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل) طريق الهجرتين (١/٣٨٦).

وقد جعل الله التوكل عليه من أبرز صفات المؤمنين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ أي: يعتمدون عليه بقلوبهم؛ فلا يرجون سواه. وفي الآية وصف المؤمنين حقاً بثلاثة مقامات من مقامات الإحسان، وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله.

التوكل على المخلوق إما أن يكون شركاً أصغر أو أكبر :

لا يجوز أن يقول للعبد: توكلت على الله ثم عليك، لأن المخلوق ليس له نصيب من التوكل، فإن التوكل إنما هو تفويض

الأمر والالتجاء بالقلب إلى من بيده الأمر وهو الله - جل وعلا - ،
والمخلوق لا يستحق شيئاً من ذلك.

«فالتوكل على المخلوق فيما يقدر عليه شرك خفي ونوع شرك أصغر، والتوكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه المخلوق، وهذا يكثر عند عباد القبور والمتوجهين إلى الأولياء والموتى، هو شرك يخرج من الملة».

فالتوكل على المخلوق في مغفرة الذنوب، أو في تحصيل الخيرات الأخروية، أو تحصيل ولد له، أو تحصيل وظيفة له، فيتوكل عليه بقلبه، وهو لا يقدر على ذلك الشيء، وهذا يكثر عند عباد القبور وعباد الأولياء، فإنهم يتوجهون إلى الموتى بقلوبهم يتوكلون عليهم، ويفوضون أمر صلاحهم فيما يريدون في الدنيا والآخرة إلى أولئك الموتى وإلى تلك الآلهة والأوثان التي لا تقدر من ذلك على شيء، فهذه عبادة صرفت لغير الله - جل وعلا - وهو شرك أكبر بالله - جل وعلا - مناف لأصل التوحيد.

أما التوكل على المخلوق فيما أقدره الله - جل وعلا - عليه، فهو شرك أصغر؛ ولهذا قال طائفة من أهل العلم. إذا قال: توكلت على الله وعليك فإن هذا شرك أصغر ولهذا قالوا:

وحقيقة التوكل الذي ذكرناه لا يصلح إلا لله - جل وعلا - ؛
لأنه تفويض الأمر إلى من بيده الأمر والمخلوق ليس بيده الأمر،
فالتجاء القلب ورغب القلب وطمع القلب في تحصيل المطلوب
إنما يكون ذلك ممن يملكه وهو الله - جل وعلا - ، أما المخلوق
فلا يقدر على شيء استقلالاً وإنما هو سبب، فإذا كان سبباً فإنه لا
يجوز التوكل عليه ؛ لأن التوكل عمل القلب وإنما يجعله سبباً بأن
يجعله شافعاً، أو واسطة، ونحو ذلك، فهذا لا يعني أنه متوكل
عليه، فيجعل المخلوق سبباً فيما أقدره الله عليه ولكن يفوض أمر
النفع بهذا السبب إلى الله - جل وعلا - ، فيتوكل على الله ويأتي
بالسبب الذي هو الانتفاع من هذا المخلوق بما جعل الله - جل
وعلا - له من الانتفاع أو من القدرة ونحو ذلك» بتصرف التمهيد
لشرح كتاب التوحيد - ٢٠/٢).

السعي في الأسباب من التوكل على الله :

التوكل على الله سبحانه لا ينافي السعي في الأسباب والأخذ
بها ؛ فإن الله سبحانه وتعالى قدر مقدرات مربوطة بأسباب كالنكاح
لطلب الولد وكالسقي لنبات الزرع وكالسكين للقطع وكالنار
للإحراق ... وهكذا، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب
التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً، وقد أمر الله تبارك
وتعالى بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل ؛ فالأخذ بالأسباب طاعة

لله ؛ لأن الله أمر بذلك ، وهو من عمل الجوارح ، والتوكل من عمل القلب ، وهو إيمان بالله فقد أمر سبحانه بأعداد العدة للعدو فقال سبحانه : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأمر سبحانه مريم بأن تهز الشجرة ليتساقط عليها الرطب : ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجَنَاحِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥] ، وأمر المؤمنين بأخذ الحذر من العدو فقال سبحانه : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] ، وأمر بالسعي للمعاش والرزق فال : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

والقرآن مملوء من الحث على الأخذ بالأسباب وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في التعليق على حديث أسامة بن شريك قال : «قالوا : يا رسول الله أفتتداوى؟ قال : «نعم يا عبد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد الهرم» قال ابن القيم : (وقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات ، والأمر بالتداوي ، وأنه لا ينافي التوكل ، كما لا ينافية دفع ألم الجوع والعطش ، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب ،

وتعطيلها يقدح في التوكل ، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا ، ولا توكله عجزًا).

لذا من طعن في السعي والكسب والأخذ بالأسباب فقد طعن في السنة ، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

قال ابن رجب رحمه الله : (والأعمال التي يعملها العبد ثلاثة أقسام أحدها: الطاعات التي أمر الله بها عباده وجعلها سببا للنجاة من النار ودخول الجنة ؛ فهذا لا بد من فعله مع التوكل على الله فيه والاستعانة به عليه ؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا به ، وما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ؛ فمن قصر في شيء من ذلك ؛ استحق العقوبة في الدنيا والآخرة قدرا وشرعا. قال يوسف بن أسباط : "يقال : اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله ، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له".

والثاني : ما أجرى الله العادة به في الدنيا وأمر عباده بتعاطيه ؛ كالأكل عند الجوع ، والشرب عند العطش ، والاستظلال من الحر ، والتدفئة من البرد ... ونحو ذلك ؛ فهذا أيضا واجب على العبد تعاطي أسبابه ، ومن قصر فيه حتى تضرر بتركه مع القدرة على استعماله ؛ فهو مفرط يستحق العقوبة ، لكن الله سبحانه وتعالى يقوي بعض عباده من ذلك على ما لا يقوي عليه غيره ؛ فإذا عمل

بمقتضى قوته التي اختص بها عن غيره؛ فلا حرج عليه، ولهذا كان النبي ﷺ يواصل في صيامه، وينهى عن ذلك أصحابه، ويقول لهم: «إني لست كهيتكم، إني أطعم وأسقى»، وقد كان كثير من السلف لهم من القوة على ترك الطعام والشراب ما ليس لغيرهم؛ فمن كان له قوة، فعمل بمقتضى قوته، ولم يضعفه ذلك عن طاعة الله؛ فلا حرج عليه، ومن كلف نفسه حتى أضعفها عن بعض الواجبات؛ فإنه ينكر عليه ذلك.

والقسم الثالث: ما أجرى الله العادة به الدنيا في الأعم الأغلب...".

إلى أن قال: "وقد روي عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن متوكلون! فيحجون، فيأتون مكة، ويسألون الناس... فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَتَكَزَّوْا وَأَنْتُمْ خَيْرَ الْزَّادِ النَّقْوَى﴾.

وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عما يقعد ولا يكتسب ويقول: توكلت على الله؛ فقال: (ينبغي للناس كلهم يتوكلون على الله، ولكن يعودون إلى أنفسهم بالكسب؛ وقد كان الأنبياء يؤجرون أنفسهم، وكان النبي ﷺ يؤجر نفسه وأبو بكر وعمر، ولم يقولوا

نقعد حتى يرزقنا الله، وقال الله تعالى: ﴿فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وأخرج الترمذي من حديث أنس؛ قال: «قال رجل يا رسول الله! أعقلها وأتوكل؟ أو أطلقها وأتوكل؟ قال «اعقلها وتوكل» حسنه الألباني (٢٥١٧).

وهذا كله إشارة إلى أن التوكل لا ينافي الإتيان بالأسباب المباحة، بل قد يكون جمعها أفضل، وقد لقي عمر بن الخطاب جماعة من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. قال: بل أنتم المتأكلون! إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ويتوكل على الله.

قال ابن القيم في بدائع الفوائد (٢/٤٦٤): ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم وهو من أقوى الأسباب في ذلك فإن الله حسبه أي كافية ومن كان الله كافيته وواقية فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه وبين الضرر الذي يتشفى به منه قال بعض

السلف: جعل الله تعالى لكل عمل جزاء من جنسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولم يقل نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه فلو توكل العبد على الله تعالى حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجاً من ذلك وكفاه ونصره).

٣ - توحيد الأسماء والصفات :

ومعناه: أن يعتقد العبد أن الله جل وعلا واحد في أسمائه وصفاته لا مماثل له فيها، وإن اشترك بعضُ العباد الله جل وعلا في أصل بعض الصفات فإنهم لا يَشْرُكُونَهُ جل وعلا في كمال المعنى، بل الكمال فيها لله وحده دون من سواه، ومثال ذلك: أن المخلوق قد يكون عزيزاً، والله جل وعلا له من كمال هذه الصفة الشامل المطلق، ليس له فيها مثيل، وليس له فيها مشابه على الوجه التام، قال جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأما الشرك في الصفات والأفعال فيكون باعتقاد شريك له في ذلك ، فكما أن الله الوجدانية في الذات فكذلك له الوجدانية في الأسماء والصفات والأفعال.

يقول الله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

بل هو سبحانه متصف بالكمال المطلق ، لا يشركه في غيره ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٠].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيرها : (أي الكمال المطلق من كل وجه وهو منسوب إليه) (٥٧٨/٤).
ومثله قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤]. ويقول ابن كثير رحمه الله : (أي لا تجعلوا له أنداداً وأشباها وأمثالا) (٥٨٨/٤).

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدٌ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾ ، والأحدية هنا ليست مجرد تقرير أنه واحد ، بل المعنى أن المتفرد المتوحد بصفات الكمال المطلق ، بحيث لا يشاركه في ذلك غيره.

والله عز وجل كما أمر عباده أن يدعوه بأسمائه الحسنی فإنه حذر من الإلحاد فيها؛ فقال جل شأنه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، قال ابن القيم: (والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل كما يدل عليه مادته لحد؛ فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل، تقول العرب التحد فلان إلى فلان إذا عدل إليه) بدائع الفوائد (١/١٧٩).

فمن الإلحاد في الأسماء التشبه بالخالق فيما انفرد به من أوصاف الكمال كمن تعظم وتكبر، ودعا الناس إلى إطرئه بالمدح والتعظيم، وتعليق القلوب به خوفاً ورجاءاً ومن الإلحاد كذلك التشبه به سبحانه في الاسم الذي لا ينبغي إلا له وحده، كملك الأملاك، وحاكم الحكام، ومن وصف نفسه بالمعالي والتعالي والسمو، وغير ذلك من المصطلحات التي لا تليق بمقام العبودية، ففي صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أغبط رجل على الله يوم القيامة، وأخبثه وأغبطه عليه، رجل كان يسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله».

قوله : (لَأَتِيَنَّكَ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَةً) :

يعني بملء الأرض مغفرة فمغفرته سبحانه أبلغ وأوسع من ذلك فقوله (بقربها) بيان لكثرة مغفرته لئلا ييأس المذنبون من رحمة الله تعالى لكثرة الخطايا فإن الله سبحانه ذو رحمة واسعة، وذو رحمة خاصة بالمؤمنين، وعلى العباد أن يتقوه وأن يعبدوه؛ راجين رحمته، خائفين من عقابه.

فالمؤمن يكون بين الخوف والرجاء، فلا يُغلبُ جانب الخوف حتى يقنطَ من رحمة الله أو ييأس من روح الله، ولا يغلب جانب الرجاء حتى يأمن من مكر الله عز وجل؛ فإن طريقة الأنبياء والمرسلين أنهم يدعون ربهم رغبا ورهبا؛ كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

فإذا أخذ الإنسان جانب الخوف فقط، وبالع في ذلك، حتى يقنط من رحمة الله؛ فإن الله سبحانه وتعالى قد حكم عليه بالضلال، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ ۖ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، وكذلك إذا أيس من رحمة الله؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِئُشُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وهذه طريقة الوعيدية من الخوارج وغيرهم من الفرق المخالفة لمنهج

أهل السنة والجماعة ممن ساروا على نهج النبي ﷺ، الذي غلبوا جانب الوعيد، وشددوا في ذلك حتى ضلوا.

وينبغي أن تعلم أن اليأس والأمل ليست مجرد حالة تتصل بالحالة النفسية للإنسان من خلال نتائجها الإيجابية والسلبية، بل تتصل من خلال كلام الله في عقيدة المسلم فهو توازن بين الخوف والرجاء فهو الذي يدفعك إلى الطاعة ويمنعك عن المعصية واليأس، فإن للحياة طبيعتها وقوانينها فما من عسر يكون إلا صاحبه يسر من الله وما من شدة إلا صاحبها الفرج قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

قال ابن عباس: «يقول الله تعالى: خلقت عسراً واحداً بين يسرين، فلن يغلب عسر يسرين».

واليأس والقنوط متقاربان كما قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿وَلَا تَأْسُواْ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، أخبرهم بأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولعل السبب أنهم يتهمون الله بأنه عاجز عن رحمتهم، وغير قادر على نجاتهم، وليس عنده ثواب، أو أنه لا يقبل التوبة أو ما أشبه ذلك، ومن الناس من يحمل بنفسه بعضاً من الصفات الذميمة، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين، ممن إذا أصابته شدة

بعد نعمة، حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة لمستقبله، وكفر
 وجحود لماضي الحال، كأنه لم ير خيراً فقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَ
 الْإِنْسَنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ كَفُورٌ﴾ [هود: ٩]،
 وقال عنه: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَنِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾
 [الإسراء: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبْهُمْ
 سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]، وروى سعيد بن
 جبیر عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا،
 وزنوا وأكثروا، فأتوا النبي ﷺ وقالوا: إن الذي تدعو إليه لحسن لو
 تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت هذه الآية: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
 الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فهذا دليل على أن القنوط واليأس من أسباب الكفر والضلال،
 وقد يقع هذا اليأس من كثير ممن أفنوا أعمارهم في الذنوب ولسان
 حالهم يقول عصيت وأذنبت ذنباً كثيرة، تركت الصلاة والصيام
 وشربت المسكرات، وزنيت وسرقت ونحو ذلك، وفعلت ذنباً
 كثيرة فرحمة الله لا تصل إلي؛ فلا يرحمني، فأنا آيس من روح الله،
 قانط من رحمة الله، ومنهم من يقول مضى على ستون أو سبعون
 سنة، وأنا على هذه الحال، يصعب علي أن أتوب بل أبقى على ما
 أنا عليه يقول تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ

يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٨] ، ويقول
تعالى: ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩] ، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ
عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦] والآيات في ذلك
كثيرة، فبادر إلى عفو الله ورحمته فرحمته وسعت كل شيء، فقيام
ركعة في جوف ليل مع دمة ندم تهدم جبلاً من الذنوب
والمعاصي.

ما يستفاد من الحديث :

- ١- التيسير ودفع الحرج من خصائص الإسلام.
- ٢- سعة كرم الله تعالى وجوده ورحمته لعباده المؤمنين.
- ٣- كثرة أسباب المغفرة دليل على رحمته سبحانه.
- ٤- الرد على الذين يكفرون المسلمين بالذنوب كالخوارج،
وعلى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين، بمعنى أنه
ليس بمؤمن ولا كافر في الدنيا، ويخلد في النار في الآخرة.
والصواب قول أهل السنة: أن المعاصي لا يسلب عنه اسم
الإيمان، ولا يعطاه على الإطلاق، بل يقال: هو مؤمن

- عاص، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وعلى هذا يدل الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة.
- ٥- بيان معنى لا إله إلا الله وفضلها وأنها أفراد الله بالعبادة، وترك الشرك قليله وكثيره.
- ٦- حسن الظن بالله تعالى من العبادات القلبية وهي الاستبشار بوجود فضل الرب تعالى.

الفهرس

رقم الصفحة	م
٥	١ المقدمة:
١٠	٢ التيسير ودفع الحرج من خصائص الإسلام:
١٨	٣ تعريف الحديث القدسي:
١٨	٤ الفرق بين الحديث القدسي والقرآن:
٢٥	٥ فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون:
٣٠	٦ رحمة الله واسعة:
	٧ أسباب المغفرة:
٣١	١ - قول العبد لا إله إلا الله قبل الموت:
٣٤	٢ - خشية الله والخوف منه والإيمان بقدرته:
٣٥	٣ - الأذان:
٣٥	٤ - إجابة المؤذن:
٣٧	٥ - نشر العلم الشرعي:
٤٠	٦ - صيام شهر رمضان:
٤٢	٧ - الوضوء:
	٨ - صلاة الجمعة والدنو من الإمام
٤٤	والإنصات إليه
٤٧	٩ - صلاة الجماعة:
٤٨	١٠ - صلاة التطوع:

٥٧	١١ - التسييح والتهليل والتحميد والتكبير وسائر الذكر:	
٦٠	١٢ - الذكر بعد الصلاة:	
٦٣	١٣ - قراءة سورة الملك:	
٦٤	١٤ - التأمين على الإمام:	
٦٤	١٥ - المصافحة بين المسلمين:	
٦٥	١٦ - رحمة المخلوقات:	
٦٧	١٧ - شكر النعم:	
٦٩	١٨ - صلاة الموحدين على الجنازة:	
٧٠	١٩ - صيام يوم عرفة:	
٧٠	٢٠ - بذل المعروف للمسلمين:	
٧٢	٨ الدعاء مع الرجاء:	
٧٢	٩ فضل الدعاء:	
٧٥	١٠ أحوال الدعاء عند الله:	
٧٦	١١ آداب الدعاء:	
٨٥	١٢ شروط وموانع الدعاء:	
٨٥	١ - الشرك بالله:	
٨٦	٢ - الاستعجال:	
٨٧	٣ - الدعاء بالإثم وقطيعة الرحم:	
٨٧	٤ - أكل الحرام ومشربه وملبسه والتغذي به:	

٩٣	٥ - ارتكاب المحرمات :	
٩٣	٦ - ترك الواجبات :	
٩٦	٧ - الدعاء يقلب لاة غافل :	
٩٧	٨ - ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :	
٩٨	٩ - الدعاء بأمر قد فرغ الله منه :	
٩٨	١٣ الدعاء يرد القدر :	
١٠٠	١٤ أخطاء في الدعاء :	
١٠٧	١٥ الرجاء عبودية قلبية :	
١١٠	١٦ أنواع الرجاء :	
١١٢	١٧ الرجاء يدفع إلى العمل :	
١١٣	١٨ المبالاة منتفية بحق الله :	
١١٥	١٩ الاستغفار :	
١١٥	٢٠ تعريفه :	
١١٥	٢١ فضله :	
١٢٤	٢٢ استغفار اللسان مع إصرار القلب على الذنب :	
١٢٧	٢٣ أفضل أنواع الاستغفار :	
١٣٢	٢٤ الفرق بين الاستغفار والتوبة :	
١٣٣	٢٥ فضل التوحيد :	
١٣٥	٢٦ توحيد الربوبية :	

٢٧	توحيد الألوهية:	١٤٠
٢٨	١- شرك الدعاء:	١٤٥
	٢- شرك النية والإرادة والقصد:	١٥٤
	٣- شرك الطاعة:	١٥٦
	٤- شرك المحبة:	١٥٧
	٥- شرك الخوف:	١٦٠
	٦- شرك التوكل:	١٦٤
٢٩	التوكل شرط في صحة الإسلام والإيمان: ...	١٦٦
٣٠	التوكل على المخلوق إما أن يكون شركاً	
	أصغر أو أكبر:	١٦٧
٣١	السعي في الأسباب من التوكل على الله:	١٦٩
٣٢	توحيد الأسماء والصفات:	١٧٤
٣٣	لآتينك بقربها مغفرة:	١٧٧
٣٤	ما يستفاد من الحديث:	١٨٠

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

كتب للمؤلف

- ١ - خطايا اللسان في ضوء الكتاب والسنة.
- ٢ - شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور.
- ٣ - دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر.
- ٤ - أمراض القلوب في ضوء الكتاب والسنة.
- ٥ - مختصر العقيدة السلفية.
- ٦ - صلاة الإستخارة وأحكامها.
- ٧ - أحكام المسافر.
- ٨ - الرياض النضرة في أسباب المغفرة.
- ٩ - حادثة الإفك وتبرئة عائشة الصديقة رضي الله عنها.

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.